كتاب

ضوء السراج

﴿ في فضل رجب وقصة المعراج ﴾

وبيان رؤية النبي عليه السلام لربه والرؤية القلبية
والمنامية والشفاعة وما يتعلق بذلك من المنافع العامة

﴿ تأليف ﴾

حضرة العارف بالله تعالى شيخ الشيوخ أستاذ الأفاضل المرحوم
الشيخ محمد أمين الكردي الاربلي الشافعي النقشبندي ابن
الشيخ فتح الله زاده رزقهما الله الحسنى وزيادة المتوفى ليلة
الاحد الثاني عشر من شهر ربيع الاول سنة اثنتين وثلاثين
وثلثمائة وألف من هجرة حامل لواء العز والشرف
عليه وعلى آله أفضل الصلاة والسلام

﴿ الطبعة الثانية ﴾

(مطبعة السعادة بجوار محافظة مصر)

كتاب

ضوء السراج

﴿ في فضل رجب وقصة المعراج ﴾

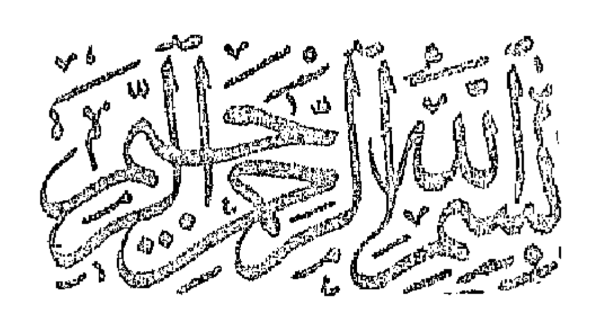
وبيان رؤية النبي عليه السلام لربه والرؤية القلبية
والمنامية والشفاعة وما يتعلق بذلك من المنافع العامة

﴿ تأليف ﴾

حضرة العارف بالله تعالى شيخ الشيوخ أستاذ الأفاضل المرحوم
الشيخ محمد أمين الكردى الاربلى الشافعى النقشبندى ابن
الشيخ فتح الله زاده رزقهما الله الحسنى وزيادة المتوفى ليلة
الاحد الثانى عشر من شهر ربيع الاول سنة اثنتين وثلاثين
وثلثمائة وألف من هجرة حامل لواء العز والشرف
عليه وعلى آله أفضل الصلاة والسلام

﴿ الطبعة الثانية ﴾

(مطبعة السعادة بجوار محافظة مصر)



الحمد لله الذى تجلى لحبيبه المصطفى فأراه عجائب الملكوت ، وأشهده جمال ذاته فى مقام الانس والصفا واطلعه على عوالم الجبروت . وجعله فاتحا خاتما شافعا للمذنبين . وحلاه بجميل السجايا . وبين له فضيلة الأشهر وجليل المزايا . وجعل من أحبه فى أعلى عليين . والصلاة والسلام على سيدنا محمد المبعوث من خلاصة معدو لبابة عدنان . وعلى آله وصحبه أهل الصفاء والعرفان . اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

(أما بعد) فيقول الفقير الحقير الذليل الى ربه المبين . الراجى عفوه عبده (محمد أمين) الشافعى مذهبا . النقشبندى مشربا . الكردى نسبة . الأربلى بلدة . الازهرى اقامة . بينما أنا مشتغل بتأليف كتابى المسمى (بسراج الواعظين . فى نصيحة المسلمين . اذ دخل بعض من يعز من الاخوان علىّ . ومن لتقواه أقرب منهم إلىّ . وكنت وقتئذ قد فرغت من فضل شهر رجب الحرام وما

اشتمل عليه من قصة الاسراء والمعراج وما يستدل به على إثباتهما من الأدلة العقلية والنقلية من الكتاب والسنة وإجماع الامة مع بسط القول في إزالة ما وقع لبعض المبتدعين من الشبه وما يتعلق بذلك من رؤيته صلى الله عليه وسلم لربه وما أراه من آياته الكبرى وإعطائه الشفاعة العظمى وما يترتب على هذا التصديق من الثواب . وعلى مخالفته من العقاب . مع فوائد كثيرة ومباحث نفيسة لايستغنى عنها طالب التحقيق فلما قرأت عليهم ذلك كله ووجدوه شافيا . ولهذا الغرض كافيا . لم يسعهم الا تكليفى بتعجيل طبع هذه المسائل على حدتها فى كتاب مسطور . قبل تمام تأليف ذلك الكتاب المذكور . فتوقفت مدة حتى شرح الله صدرى لذلك وسميته (بضوء السراج . فى قصة الاسراء والمعراج) فجاء بحمد الله على ما يرام ونسأله القبول والتوفيق والفوز بدار السلام بجاه سيد الأنام

(مقدمة فى وجوب محبته صلى الله عليه وسلم . واتباع سنته)

اعلم ان محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم هى الدرجة التى يتنافس فيها المتنافسون . واليها يشخص العاملون . وعليها يتفانى المحبون ومن روح نسيمها يتروح العابدون . فهى قوت القلوب وغذاء الأرواح وقرة العيون . وهى الحياة التى من حرمها فهو

من جملة الأموات : والنور الذى من فقده فهو في بحار الظلمات .
وهى روح الايمان والاعمال والاحوال والمقامات . فمحبته صلى
الله عليه وسلم لازمة . والآيات الكريمات بوجوبها وعظم خطرها
جازمة . ولن يؤمن أحد حتى يكون احب اليه من نفسه . ومن
ولده ووالده وسائر أبناء جنسه . ومن احبه وجد حلاوة الايمان .
ودخل فى زمرته الى محل الروح والريحان . وفاز بمرافقة الذين
أنعم عليهم الرب . وكان معه في درجته والمرء مع من أحب . ومن
علامة محبته توقيره وتعظيم قدره . واظهار الخضوع والخشوع عند
سماع ذكره . والشفقة على امته وبر صالحهم . والنصح لهم والسعى
فى مصالحهم . فطوبى لمن عد من جملة محبيه . وامتثل جميع أوامره
واجتنب كل نواهيه . وآثر ما شرعه على هواه . واسخط العباد
فى رضا الله ورضاه . وداوم على العمل بسنته . ووافق ما حض عليه
مخالفا لشهوته . وتفقه فى دينه وشريعته . وتخلق بخلقه وتطبع
بطبيعته . وأحب من أحبه . وعظم آل بيته وصحبه . وجانب كل
أمر يخالف شرعه . وأعرض عمن تعرض لحدثه فيه أو بدعه .
ونهض للوقوف عند حدوده . ورفض أقوال شامتيه وحسوده .
وبذل النفس والمال دونه . ومال الى الذين يحبهم ويحبونه . واذا
كان الانسان يحب من منحه فى دنياه مرة أو مرتين معروفا فانيا

منقطعاً أو استنقذه من مهلكة أو مضرة لاتدوم فما بالك بمن منحه منحا لاتبيد ولا تزول . ووقاه من العذاب الأليم مالا يفنى ولا يحول . واذا كان المرء يحب غيره على ما فيه من صورة جميلة أو صفة حميدة فكيف بهذا النبي الكريم . والرسول العظيم . الجامع لمحاسن الخلق والاخلاق والتكليم . المانح لنا جوامع المكارم والفضل العميم . فقد منحنا الله به منح الدنيا والآخرة . واسبغ علينا نعمه باطنة وظاهرة . وبالجملة فلا حياة للقلب الا بمحبة الله تعالى ومحبة رسول الله صلى عليه وسلم ولا عيش الا عيش المحبين الذين قرت أعينهم بحبيبهم وسكنت نفوسهم اليه واطمأنت قلوبهم به . واستأنسوا بقربه . وتنعموا بمحبته ففي القلب طاقة لايسدها الا محبة الله ورسوله ومن لم يظفر بذلك فحياته كلها هموم وغموم وآلام وحسرة

(فصل في فضل شهر رجب)

اعلموا اخواني وفقني الله وایاكم لطاعته وحفظنا من عصيانه بمخالفة أمره ان الله جل ذكره وتقدست اسماؤه قد جعل شهر رجب موسما للخيرات . ومغنما للسعادات . وربيعا للمقربين وقربة لمتباعدين . فهو شهر الله الاصب تصب فيه الرحمة على التائبين . تفاض فيه أنوار القبول على العاملين . فيا أيها العاصي قد أقبل

عليك شهر حرام فاستقبله بالتوبة من الحرام . اقبل عليك شهر مبارك . فتدارك فيه ما تدارك . فكم من انسان أدرك رجب ولم يدرك شعبان . وكم من انسان ادركهما ولم يدرك رمضان . فمن لم من عمره فقد ضيع أيام حرثه . ومن ضيع أيام حرثه فقد ضيع أيام حصاده ولا يعرف قدر الشباب الا الشيوخ ولا قدر الصحة الا المرضى ولا قدر الحياة الا الموتى فكم يامسكين مضى عليك جمادى وجمادى . وأنت فى المعاصى تمادى . يقول الله تبارك وتعالى فى بعض كتبه المنزلة (يا عبدى اغلق عنك أبواب المعاصى . افتح لك أبواب اختصاصى يا عبدى اغلق أبواب الذنوب . افتح لك أبوابا من علم الغيوب . ياعبدى أغلق أبواب المخالفة . افتح لك أبواب المكاشفة يا عبدى اعتزل عن الدور والقصور أزوجك غدا من الحور) فلو عرفته يامسكين للقيت فى طريق طلبك رشداً . ولو احببته لبلغت فى سبيل محبتك قصداً . ولو شكرته لزادك من جزيل نعمه رفداً . ولو ذكرته لأذاقك من لذيذ ذكره شهداً . ولو اتقيته لاوردك موارد احبابه يوم يحشر المتقون الى الرحمن وفداً . ويساق المجرمون الى جهنم ورداً . فالسعيد من اتخذ عند الرحمن عهداً . فقف بين يدى مولاك فى ليالى رجب وابك على تفريطك فيما عليك وجب . عسى ان يهبك فيمن وهب . فيا أخوانى هذا

شهر قبول المعذرة هذا شهر العفو والمغفرة . هذا شهر الله فاقبلوا فيه على الله هذا شهر الله الاصم . فخذوا منه بالحظ الاتم . واحترموه بكثرة الصيام . والندم على ما سلف من الآثام وافشوا السلام . واطعموا الطعام . وصلوا الارحام . وصلوا بالليل . والناس نيام . تدخلوا الجنة بسلام . كانت العرب تعظم رجب والملائكة والانبياء تعظمه والعظيم الجبار عظمه وكرمه وحرمه . ومن شرف هذا الشهر المبارك أن خزنة الكعبة يفتحون البيت من أول رجب الى آخره لا يغلقونه ويقولون الشهر شهر الله والبيت بيت الله والعباد عباد الله والرحمة رحمة الله . وروى الديلمي عن عائشة رضى الله عنها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (يسُحُّ اللهُ الخيرَ فى أربعِ ليالٍ سحا ليلةِ الأضحى وليلةِ الفطر وليلة النصف من شعبان وأولِ ليلة من رجب) وروى الديلمى أيضاً بسنده عن أبى امامة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (خمس ليال لا تُرَدُّ فيها دعوة أول ليلة من رجب وليلة النصف من شعبان وليلة الجمعة وليلتا العيدين) ويقال أن الله تعالى يقول فى كل ليلة من رجب (رجب شهرى والعبد عبدى والرحمة رحمتى والفضل بيدى وأنا غافر لمن استغفرنى فى هذا الشهر ومعط لمن سألنى فيه) قال الشيخ عبد القادر الجيلانى رضى الله عنه فى الغنية يقال فى أول ليلة من

رجب الرجى تعرض لك فى هذه الليلة المتعرضون وقصدك القاصدون
وأمل فضلك ومعروفك الطالبون ولك فى هذه الليلة نفحات
ومواهب وعطايا تمن بها على من تشاء من عبادك وتمنعها عمن لم
تسبق له منك عناية وها أنا عبدك الفقير اليك المؤمل فضلك
ومعروفك فجد على بفضلك ومعروفك يارب العالمين . ويقال
اذا كان أول ليلة من رجب أمر الله ملكا ينادى الا ان شهر التوبة
قد استهل فطوبى لمن استغفر الله فيه وذكر بعض الصالحين أن من
قال كل يوم من العشر الاول من رجب سبحان الحى القيوم مائة مرة
وكل يوم من العشر الثانى مائة مرة سبحان الله الاحد الصمد ومن
العشر الثالث مائة مرة سبحان الله الرءوف لم يصف الواصفون
ما يعطى من الثواب وروى عن وهب بن منبه رضى الله عنه قال قرأت
فى بعض كتب الله المنزلة ان من استغفر الله فى رجب بالغداة
والعشى يرفع يديه ويقول (اللهم اغفر لى وارحمنى وتب على سبعين
مرة لم تمس النار له جلدا) فأكثروا من الاستغفار فى رجب فان
لله تعالى فى رجب عتقاء من النار (فائدة) عن بعض الافاضل أنه قال
من قال فى شهر رجب وشعبان ورمضان كل يوم بين العصر والمغرب
استغفر الله العظيم الذى لا اله الا هو الحى القيوم غفار الذنوب
وستار العيوب وأتوب اليه توبة عبد ظالم لنفسه لا يملك ضرا ولا

نفعا ولا موتا ولا حياة ولا نشوراً أوحى الله تعالى الى الملكين
الموكلين به ان خرقا صحيفة ذنوبه وخطاياه (فائدة أخرى) عن
بعض الصالحين أيضا ما من عبد يقرأ كل يوم من أيام رجب سورة
قل هو الله أحد مرة واحدة الا أوتى من الثواب مالا يعلم قدره
الا الله تعالى فانه لو حمل عشرة آلاف جمل قراطيس واجتمع
الملائكة الذين هم سكان السموات بأيديهم اقلام من ذهب يسودون
تلك القراطيس لم يقدروا على ثواب قل هو الله أحد . ومن قرأ
الدعاء الآتى ليلة السابع والعشرين من رجب وطلب مقصوده
أجاب الله دعاءه وهو هذا (بسم الله الرحمن الرحيم) اللهم انى
اسألك بمشاهدة أسرار المحبين وبالخلوة التى خصصت بها سيد
المرسلين حين أسريت به ليلة السابع والعشرين ان ترحم قلبي
الحزين وتجيب دعوتى يا أكرم الاكرمين . هذا رجب هو اسم
من الاسماء المشتقة واشتقاقه من الترجيب والترجيب هو التعظيم
عند العرب . واسمه الاصب لان الرحمة تصب فيه صبا . واسمه
أيضا الاصم لما قيل من أنه يرفع الى الله اذا انقضى فيسأله الله تعالى
عن اعمال عباده فيسكت ثم يسأله ثانيا فيسكت ثم يسأله ثالثا
فيسكت ثم يقول يارب أنت أمرت عبادك أن يستر بعضهم بعضا
وسميت الاصم فسمعت طاعتهم دون معصيتهم . وأعلم أن معنى رفع

الشهر الى الله تعالى واليوم والليلة ونحو ذلك من سائر الاعراض
كالأقوال والأفعال أنه سبحانه وتعالى يخلقها فى صورة نورانية
فتصعد تلك الصورة وتفعل وتقول ما يقتضيه الأحاديث الواردة
عن الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم وليس معنى ذلك أن
ينقلب العرض جوهرا كما قيل بل معناه أنه تعالى يحدث بقدرته
بسبب الاعمال التى يعملها العباد صوراً هى الطف من عالمنا هذا
واكثف من عالم الارواح ويعبر الصوفية عن هذا العالم المتوسط
بعالم المثال لان هذه الصورة تحاكى ما هى صورله تمام المحاكاة
وتمثله لذهن من يراه أتم التمثيل فتبارك الله أحسن الخالقين قال بعض
أهل الاشارة رجب ثلاثة أحرف (راء وجيم وباء) فالراء من
رحمة الله والجيم جرم العبد وجنايته والباء بر الله فكأن الله تعالى
يقول اجعل جرمك وجنايتك بين رحمتى وبرى . ورجب شهر
إلقاء البزر وشعبان شهر السقى ورمضان شهر الحصاد فمن لم يزرع
بزر الطاعة فى رجب ولم يسقها بماء العين فى شعبان فكيف يصل
الى حصاد الرحمة فى رمضان . ومن لم يكن له حرمة رجب لم يكن
له حرمة شعبان ومن لم يكن له حرمة شعبان لم يكن له حرمة
رمضان ويروى عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبي
صلى الله عليه وسلم أنه قال (شهر رجب شهر الله وشهر شعبان شهرى

وشهر رمضان شهر أمتى) أى لان الله خص رجب بالمغفرة وشعبان بالشفاعة ورمضان بتضعيف الحسنات . وقيل رجب شهر التوبة وشعبان شهر المحبة ورمضان شهر القربة . وقد زين الله الشهور بأربعة ذى القعدة وذى الحجة والمحرم ورجب فذلك قوله تعالى (منها أربعة حرم) فالاشهر الحرم ثلاثة سرد وواحد فرد وهو شهر رجب كما اخرج الشيخان من حديث أبى بكر أن النبى صلى الله عليه وسلم خطب فى حجة الوداع فقال فى خطبته (ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض السنة اثنا عشر شهراً منها أربعة حرم ثلاث متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذى بين جمادى وشعبان) أشار النبى صلى الله عليه وسلم فى هذا الحديث الى أن الله سبحانه وتعالى منذ خلق السموات والارض وخلق الليل والنهار يدوران فى الفلك وخلق مافى السماء من الشمس والقمر والنجوم وجعل الشمس والقمر يسبحان فى الفلك فينشأ منهما ظلمة الليل وبياض النهار فمن حينئذ جعل السنة اثنى عشر شهراً بحسب الهلال والسنة فى الشرع مقدرة بسير القمر وطلوعه لا بسير الشمس وانتقالها كما يفعله أهل الكتاب ومراده صلى الله عليه وسلم بذلك أن يبطل ما كانت الجاهلية تفعله من النسئ فذكر ذلك توطئة لهدم النسئ وابطاله

والنسيء هو تأخير حرمة شهر من الاشهر الحرم الى شهر آخر كما كانت تفعل الجاهلية كانوا إذا جاء شهر حرام وهم محاربون أحلوه وحرموا مكانه شهراً آخر ورفضوا خصوص الاشهر واعتبروا مجرد العدد فكانوا يؤخرون تحريم المحرم الي صفر ويستحلون المحرم فاذا احتاجوا الى تأخير تحريم صفر أخروه إلى ربيع وهكذا شهراً بعد شهر حتى استدار التحريم على السنة كلها وهكذا كانوا يفعلون بالحج فأعلمهم المصطفى صلى الله عليه وسلم أن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض فى الحديث المتقدم وأمرهم بالمحافظة على ذلك لئلا يتبدل فى مستأنف الايام وقوله صلى الله عليه وسلم رجب مضر لان مضر كانت تزيد فى تعظيمه واحترامه فنسب اليهم وسمى هذه الاشهر الاربعة حرما لعظم حرمتها وحرمة الذنب فيها * وقال ابن عباس رضى الله عنهما اختص الله أربعة أشهر جعلهن حرما وعظم حرماتهن وجعل الذنب فيهن أعظم والعمل الصالح الاجر الاعظم . فجدير لمن سود صحيفته بالذنوب أن يبيضها بالتوبة فى شهر رجب

بيض صحيفتك السوداء فى رجب　　بصالح العمل المنجى من اللهب
شهر حرام أتى من أشهر حرم　　اذا دعا الله داع فيه لم يخب
طوبى لعبد زكا فيه له عمل　　فكف فيه عن الفحشاء والريب

وقال كعب الاحبار اختار الله الزمان فأحبه الى الله الاشهر الحرم . قيل حرم ذو القعدة للمسير فيه الى الحج وذو الحجة لوقوع الحج فيه وشهر المحرم للرجوع فيه من الحج حتى يأمن الحاج على نفسه من حين يخرج من بيته الى أن يرجع وحرم رجب للاعتمار فيه فى وسط السنة فيعتمر من كان قريبا من مكة

﴿ فصل فى صوم رجب ﴾

يامن ضل عن الهدى ولم يخش عواقب الردى . وضيع أوقاته سدى . ونبذ الاعمال الصالحة وراءه ظهريا . ودعاه ربه الى طاعته فكان لربه عصيا . ان أردت الخلاص والنجاة يوم القصاص . فاتبعنى أهدك صراطا سويا . فتب يامسكين من الاوزار . وشد لطاعة ربك الازار . إن أطعته أثابك . وإن دعوته أجابك . وان عصيته أمهلك وان رجعت اليه قبلك . فلازم بابه وانقطع اليه . واعتمد فى جميع أحوالك عليه . فهذا شهر رجب شهر العبادة . شهر السعادة شهر الصيام فتطهر فيه بالصوم . واترك الكسل والنوم . وقم فى الاسحار . وناد الملك الغفار . عسى أن يدخلك مع الابرار . واعلم أن من أحياه بالصوم والعبادة فقد اغتنم الجزاء الاوفى وشرب الزلال الاصفى والعجب ثم العجب ممن ينكر الصوم فى رجب مع أنه من الاشهر الحرم قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام رضى

الله عنه . من نهى عن صوم رجب فهو جاهل والمنقول استحباب صيام الاشهر الحرم قال حجة الاسلام فى الاحياء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (صوم يوم من شهر حرام أفضل من ثلاثين من غيره) وقال شارحه قال العراقى لم أجده هكذا وفى المعجم الصغير للطبرانى من حديث ابن عباس من صام يوما من المحرم فله بكل يوم ثلاثون يوما اه وكأنه أراد أن يستشهد بهذا الحديث الذى رواه الطبرانى على حديث المصنف فأن شهر المحرم شهر حرام وكذلك رجب وقال (صوم ثلاثة أيام من كل شهر صوم الدهر كله) رواه البخارى ومسلم . وقال (صوم شهر الصبر وثلاثة أيام من كل شهر تذهبن وَحَرَ الصدر) رواه البزار ورجاله رجال الصحيح وشهر الصبر هو رمضان والوحر بفتح الواو والحاء هو غشه وحقده ووساوسه وروى عن أنس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من صام ثلاثة أيام من شهر حرام الخميس والجمعة والسبت كتب الله له عبادة سبعمائة سنة) قال أنس رضى الله عنه صمت أذناى ان لم أكن سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم رواه الازدى فى الضعفاء ورواه ابن شاهين فى الترغيب وابن عساكر فى التاريخ لكن بلفظ من صام فى كل شهر حرام ثلاثة أيام ألخ . وروى البيهقى فى شعب الايمان عن أبى قلابة قال (فى الجنة قصر

لصوام رجب) وقال هذا أصح ما ورد فى صوم رجب قال وأبو
قلابة من التابعين ومثله لايقول ذلك الاعن بلاغ وأخرج أبو محمد
الخلال فى فضائل رجب عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال
(صوم أول يوم من رجب كفارة ثلاث سنين والثانى كفارة
سنتين والثالث كفارة سنة ثم كل يوم كفارة شهر) وقال (من
صام اليوم السابع والعشرين من رجب كتب الله له صيام ستين
شهرا) رواه أبو هريرة مرفوعا . وعن أنس قال لقيت معاذاً فقلت
له من أين قال من عند النبي صلى الله عليه وسلم فقلت له ماقال قال
سمعته يقول (من صام يوما من رجب يبتغى به وجه الله تعالى دخل
الجنة) فدخلت على النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يارسول الله حدثنى
معاذ عنك بكذا فقال صدق (أناقلت ذلك أنا قلت ذلك أنا قلت
ذلك) وقال صلى الله عليه وسلم (أن فى الجنة نهراً يقال له رجب أشد
بياضا من اللبن وأحلى من العسل من صام يوما من رجب سقاه الله
من ذلك النهر) رواه البيهقى عن أنس واعلم أن هذه الاحاديث
لاينبغى ترك العمل بها لما قال النووى فى الاذكار قال العلماء من
المحدثين والفقهاء وغيرهم يجوز ويستحب العمل فى الفضائل
والترغيب والترهيب بالحديث الضعيف ما لم يكن موضوعا وأما
الاحكام كالحلال والحرام والبيع والنكاح والطلاق وغير ذلك فلا

يعمل فيها الا بالحديث الصحيح أو الحسن وقال أيضاً واعلم أنه
ينبغى لمن بلغه شئ فى فضائل الاعمال أن يعمل به ولو مرة واحدة
ليكون من أهله . ولا ينبغى لاحد أن ينكر الاحاديث الواردة
فى فضائل الاعمال من حيث كثرة الثواب وقلة العمل فان ذلك
لايعد مثقال حبة من خردل فى سعة رحمة الله وكرمه قال صاحب
كتاب ذخيرة العابدين رأيت جماعة أنكروا هذه الاحاديث
الواردة فى الصلوات والفضائل من حيث ما فيها من كثرة الثواب
والاجور العظيمة وقالوا أن ذلك كثير على عمل قليل ولعمرى
هؤلاء من أى وجه أنكروها أقصرت قدرة الله عنها أم ضاقت
رحمته الواسعة بها فاذا كانت قدرة الله شاملة لكل مقدور . ورحمته
أوسع من مداد البحور . والطاعات أمارات الاجور . فمن الجائز
وعد درجات ومثوبات . على قليل من الخيرات . لتعلم قدرته
وعظمته وكرمه كيف وفى صحاح الاخبار مالا يعد ولا يحصى ففى
الحديث الشريف (أن الله تعالى يعطى عبده المؤمن بحسنة واحدة
ألف ألف حسنة ثم تلا ان الله لايظلم مثقال ذرة وان تك حسنة
يضاعفها ويؤت من لدنه أجراً عظيما) فاذا قال تعالى أجراً عظيما فمن
يعرف قدر هذا الاجر العظيم الذي يعطيه الله . وفى الحديث الشريف
(أن أدنى أهل الجنة لمن ينظر الى أزواجه وقصوره وسرره ونعيمه

مسيرة ألف عام وأن أكرمهم على الله لمن ينظر الى وجه الله تعالى كل يوم مرتين بكرة وعشيا ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة اه

أقول من تلك الاحاديث الصحاح ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (مَنْ قالَ لا إله إلا اللهُ وَحْدَهُ لا شريكَ لهُ لهُ المُلْكُ ولهُ الحمْدُ وَهُوَ على كلِّ شيءٍ قديرٌ عشرَ مرّاتٍ كانَ كَمَنْ اعتقَ أربَعةَ أنفُسٍ مِنْ وَلَدِ إسمَاعِيلَ) رواه الشيخان وغيرهما وفى رواية أخرجها الطبراني (كُنَّ لهُ كَمِثْلِ عشرِ رَقَبَاتٍ مِنْ وَلَدِ إسمَاعِيلَ عليهِ السَّلامُ) فانظر الى هذا الفضل العظيم والثواب الجسيم على هذا العمل اليسير ولا تعارض بين هذين العددين فان الجزاء يختلف باختلاف أحوال العاملين فى كمال الاخلاص وتمام الخشوع وقوة حضور القلب مع المعبود فيكون جزاء العشر مرات من بعض العاملين عتق أربع رقاب ومن بعضهم عتق عشر وروى النسائى عنه صلى الله عليه وسلم قال (ما قالَ عَبْدٌ قطُّ لا إله إلا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ وَهُوَ عَلى كُلِّ شيءٍ قَدِيرٌ مُخْلِصاً بِها رُوحُهُ مُصَدِّقاً بها قَلْبُهُ نَاطِقاً بِها لِسَانُهُ إلاّ فَتَقَ اللهُ لَهُ السَّماءَ فَتْقاً حتى يَنْظُرَ إلى قائلِها مِنَ الأرْضِ..

وَحَقٌّ لِعَبْدٍ نَظَرَ اللهُ إِلَيْهِ أَنْ يُعْطِيَهُ سُؤْلَهُ) وقال صلى الله عليه وسلم مَنْ دَخَلَ السُّوقَ فَقَالَ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ بِيَدِهِ الْخَيْرُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ كَتَبَ اللهُ لَهُ أَلْفَ أَلْفِ حَسَنَةٍ وَمَحَا عَنْهُ أَلْفَ أَلْفِ سَيِّئَةٍ وَرَفَعَ لَهُ أَلْفَ أَلْفِ دَرَجَةٍ) قال الحافظ المنذرى اسناده متصل حسن اه فالحمد لله على فضله وروى الطبرانى والحاكم واللفظ له وقال صحيح الاسناد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال (مَنْ قَالَ سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ مِائَةَ مَرَّةٍ كَتَبَ اللهُ لَهُ مِائَةَ أَلْفِ حَسَنَةٍ وَأَرْبَعًا وَعِشْرِينَ أَلْفَ حَسَنَةٍ) قالوا يارسول الله اذا لايهلك منا أحد قال (بَلَى إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَجِيءُ بِالْحَسَنَاتِ لَوْ وُضِعَتْ عَلَى جَبَلٍ أَثْقَلَتْهُ ثُمَّ تَجِيءُ النِّعَمُ فَتَذْهَبُ بِتِلْكَ ثُمَّ يَتَطَاوَلُ الرَّبُّ بَعْدَ ذَلِكَ بِرَحْمَتِهِ)وقال(وَمَنْ قَالَ سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ غُفِرَتْ لَهُ ذُنُوبُهُ وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ) رواه مسلم والترمذى والنسائى وفى رواية له (مَنْ قَالَ سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ حَطَّ اللهُ عَنْهُ ذُنُوبَهُ وَإِنْ كَانَتْ أَكْثَرَ مِنْ زَبَدِ الْبَحْرِ) ولم يقيده باليوم ولا بالمائة مرة وعن أم هانئ رضي الله عنها قالت مرّ بي رسول الله صلى الله

عليه وسلم ذات يوم فقلت يا رسول الله قد كبرتُ وضعفتُ فمرني بعمل أعمله وأنا جالسة قال (سبّحي الله مائة تسبيحة فإنها تعدل لك مائة رقبة تعتقينها من ولد إسماعيل وأحمدي الله مائة تحميدة فإنها تعدل لك مائة فرس مسرجة ملجمة تحملين عليها في سبيل الله وكبري الله مائة تكبيرة فإنها تعدل لك مائة بدنة مقلدة متقبلة وهللي الله مائة تهليلة تملأ ما بين السماء والأرض ولا يرفع يومئذ لأحد عمل أفضل مما يرفع لك إلا أن يأتي بمثل ما أتيت) رواه البيهقي ورواه احمد بسند حسن والنسائي ولم يقل ولا يرفع الخ ورواه الطبراني في الكبير وفي الاوسط بسند حسن الا أنه قال في التهليل (فهو خير لك مما أطبقت عليه السماء والأرض) ورواه ابن أبي الدنيا وقال في التهليل (لا تذر ذنبا ولا يسبقها عمل) ورواه الحاكم وصحح اسناده وزاد (وقولي ولا حول ولا قوة إلا بالله لا تترك ذنبا ولا يشبهها عمل) وعن أبي هريرة قال (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى بعد المغرب ست ركعات لم يتكلم فيما بينهن بسوء عدلن بعبادة اثنتي عشرة سنة رواه ابن خزيمة في صحيحه والترمذي وابن ماجه لكن أشار الحافظ المنذري الى تضعيف هذا

الحديث حيث قال أنهم رووه من حديث عمر ابن أبى خثعم اه يعنى
وهو ضعيف ضعفه البخارى جدا كذا غيره من الحفاظ كما هو موضح
فى تهذيب التهذيب وعن أوس الثقفى رضى الله عنه قال سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول (مَنْ غسَّلَ يومَ الجمعةِ واغتسلَ وبكَّرَ
وابتكر ومشى ولم يركبْ ودنا من الامام فاستمع ولم يلغُ كانَ
لهُ بكلِ خطوةٍ عمل سنةٍ أجرُ صيامها وقيامها) رواه أحمد
وأبو داود والترمذى وقال حديث حسن والنسائى وابن خزيمة فى
صحيحه وغيرهم وقوله عليه الصلاة والسلام غَسلَ المراد به غسل الرأس
سواء قرأته بتخفيف السين أو تشديدها للمبالغة وقوله اغتسل معناه
غسل سائر الجسد وانما خص غسل الرأس بالذكر لان العرب كانت
لهم شعور كثيرة وفى غسلها مؤنة وهذا التفسير أولى فأنه يؤيد
ما أخرج ابن خزيمة فى صحيحه عن أبى هريرة قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم (اذا كان يومُ الجمعةِ فاغتسل الرجل وغسل رأسه
ثم تطيَّبَ من أطيبِ طيبه ولبس من صالح ثيابه ثم خرج الى الصلاة
ولم يفرق بين اثنين ثم استمع الامام غفر له من الجمعة الى الجمعة
وزيادة ثلاثة أيام) وقوله بكر وابتكر قيل معناهما واحد أى بادر
الى فعل الجمعة بأن ذهب اليها من الفجر كما هو عند الشافعية أو قبل
الزوال بساعة كما قال به مالك رضى الله عنه أو من الزوال كما قال به

بعض المالكية والشافعية وعلى هذا فالتكرار للتوكيد وقيل بل معنى بكر بادر الى الصلاة كما مر و معنى ابتكر أدرك أول لحظة وأول كل شئ باكورته والاحاديث الصحاح في هذا المعنى كثيرة على أنه قد صح فى فضل الصيام مطلقا أحاديث تدل على فضل كثير وثواب عظيم فيكون صيام رجب داخلا فيها دخولا أوليا لانه من الاشهر الحرم ذات الشأن العظيم من ذلك حديث أبى امامة قال قلت يا رسول الله مرنى بعمل قال (عَلَيْكَ بالصَّوْم فَانَّهُ لا عَدْلَ لهُ) وسأله ثانية وثالثة فقال له النبي صلى الله عليه وسلم (عَلَيْكَ بالصَّوْم فَأنَّهُ لا مِثْلَ له) رواه ابن خزيمة في صحيحه الذى هو فى درجة صحيح مسلم والنسائى والحاكم وصححه وابن حبان فى صحيحه وقال كان أبو أمامة لا يُرَى فى بيته الدخان نهارا الا اذا نزل بهم ضيف وروى الشيخان وغيرهما عن أبي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (مَا مِنْ عَبْدٍ يَصُومُ يَوْماً في سَبيلِ الله تَعَالى إلا باعَدَ الله بذلك اليَوْمِ وَجهَهُ عن النَّارِ سَبعِينَ خَرِيفا) يعنى سنة وَرَوى الطبرانى باسناد حسن عنه عليه الصلاة والسلام قال (مَنْ صَامَ يَوْماً فى سَبيلِ الله جَعَلَ الله بَينَهُ وَبينَ النَّار خَنْدَقاً كَما بَينَ السَّماءِ والأرضِ) وقال صلى الله عليه وسلم (مَنْ صَامَ

يَوْمًا فى سَبِيلِ اللهِ فى غَيْرِ رَمَضَانَ بُعِّدَ مِنَ النَّارِ مِائَةَ عَامٍ)
رواه أبو يعلى ورواه الطبرانى بلفظ (مَنْ صَامَ يَوْمًا فى سَبِيلِ اللهِ
بَعَّدَ اللهُ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ مَسِيرَةَ مِائَةِ عَامٍ رَكْضَ الْفَرَسِ الْجَوَادِ
الْمُضَمَّرِ) والركض السير السريع والفرس يقال على الذكر والأنثى من
الخيل والجواد الجيد والمضمر من التضمير أو الاضمار وهو أن يقلل
علف الفرس بعدما أشبعت ليخف لحمها وتضمر بطنها ليكون عونا لها
على السرعة فى السير وقد ذهبت طائفة من العلماء الى أن كل الصوم
فى سبيل الله اذا كان خالصا لوجه الله تعالى ولم يخصوه بالجهاد على
أنه قد جاء حديث ثابت صريح أوكالصريح فى أن رجبا كان معتنى
بصيامه والازدياد فيه من الخير على عهد رسول الله صلى الله عليه
وسلم ولا ينازع فيه الا مكابر أومن غلب عليه هوى وهو ما اخرج
النسائى فى سننه عن أسامة بن زيد قال قلت يارسول الله لم أرك تصوم
من شهر من الشهور ما تصوم من شعبان قال ذاك شهر تغفل الناس
عنه بين رجب ورمضان وهو شهر ترفع فيه الاعمال الى رب العالمين
وأحبُّ أن يرفع عملى وأنا صائم فقوله عليه الصلاة والسلام فى
شعبان أنه شهر مغفول عنه بين هذين الشهرين يدل على أن شهر
رجب لم يكن اذ ذاك مغفولا عنه كرمضان وذلك ظاهر لا يخفى
على منصف فيا عباد الله لاتنكروا قدرة الله فقدرته أعظم من

ذلك ويا أخوانى هل منكم من اغتنم هذا الفضل الجزيل بهذا العمل القليل وهل منكم من أحسن فى هذا الشهر العمل وبلغ من مجاهدة نفسه الامل فيامن يسعى الى المعاصى ويبادر ويجمع الدنيا جمع مكاثر ومفاخر ويقنع بالبطالة ويرضى باسم خاسر أين اخوانك وأحبابك أما رحلوا الى المقابر أين اقرانك هل ترى لهم من ذاكر أين زادك أما أنت مسافر أما استحييت وأنت تعصى الاله الملك القادر اما تخجل ايها العاصى من الساتر الك قدرة على النكال أم أنت على العذاب صابر فيا إخوانى ويا أحبابى ويا أصحابى تعالوا بنا نبك على مامضى من عمرنا وما اسلفناه من ذنوبنا وعلى مانجده من فقد خشية ربنا فمن يرد القرب من المحبوب فليبك على الذنوب

يا كثير البكا أظنك مثلى * أنا من بالذنوب صار ذليلا
ياخليا ومطلقا نحْ قليلا * فالى النوح قد وجدت سبيلا
كم أنادى فلا أراك مجيبا * لو سمعت الندا أطلت العويلا
إخوتى كيف لا أطيل بكائى * وبجهلى عصيت ربا جليلا
قم فنادى اذا الأنام نيام * يامقيل العثار كن لى مقيلا

ياهذا ليس هذا زمان حديث انما هو زمان بكاء وتضرع واستكانة هذا زمان احفظ لسانك واخف مكانك وعالج قلبك وخذ ماتعرف ودع ماتنكر . قال عوف بن عبد الله بلغنى انه لا تصيب

دموع الانسان من خشية الله مكانا من جسده الا حرم الله ذلك المكان على النار . وكان محمد بن المنكدر اذا بكى مسح وجهه ولحيته من دموعه ويقول بلغني ان النار لاتأكل موضعا مسته الدموع من خشية الله قال تعالى (وخافون ان كنتم مؤمنين) وقال (ولمن خاف مقام ربه جنتان) وقال يحي بن معاذ مسكين ابن آدم لو خاف النار كما يخاف الفقر دخل الجنة . وقال ذو النون من خاف الله ذاب قلبه واشتد لله حبه وصح له لبه . قال عليه الصلاة والسلام قال الله عز وجل (وعزتى وجلالى لااجمع على عبدى خوفين ولا اجمع له امنين فان أمننى في الدنيا أخفته يوم القيامة وان خافنى فى الدنيا أمنته يوم القيامة) رواه ابن حبان والبيهقى وقال (اذا اقشعر جلد العبد من خشية الله تحاتت عنه خطاياه كما يتحات عن الشجرة اليابسة ورقها) وقال الحسن رضى الله عنه ان الرجل ليذنب الذنب فما ينساه ولا يزال متخوفا حتى يدخل الجنة . وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال (ياجبريل ماأرى ميكائيل يضحك قال ماضحك ميكائيل منذ خلقت النار وما جفت لى عين منذ خلقت جهنم مخافة أن اعصى الله عز وجل فيجعلنى فيها) وسئل ابن جبير رضى الله عنه عن الخشية فقال هى أن تخشى الله حتى تحول خشيته بينك وبين معاصيه . اخوانى اذا تمكن الخوف من ارض القلوب

والضلوع جرت سواقي الدموع فسقت بستان الخشية فأزهر بالندم واثمر بالتوبة ياهذا البكا يطفى جمر الذنوب ويحيي زرع القلوب ويوصلك الى المطلوب فابك في خلواتك على جفواتك ابك بعبراتك على عثراتك ابك في ايامك على ذنوبك وآثامك ابك في لياليك على غيك وتماديك * قيل أوحى الله الى شعيب النبي عليه السلام ياشعيب * هب لى من رقبتك الخضوع * ومن قلبك الخشوع ومن عينك الدموع * وادعني فاني قريب . وبكى زيد الرقاش عند موته فقيل له مم تبكي فقال أبكى على مايفوتني من قيام الليل وصيام النهار وحضور مجلس الذكر . وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (اكثروا ذكر هاذم اللذات فانكم ان ذكرتموه في ضيق وسعه عليكم وان رضيتم به أجرتم وان ذكرتموه في غنى بغضه اليكم فجدتم به فاثبتم) ان المنايا قاطعات الآمال * والليالى مدنيات الآجال * وان المرء بين يومين يوم قد مضى أحصى فيه عمله فختم عليه * ويوم قد بقي لعله لايصل اليه * أيام عمرك تذهب * وجميع سعيك يكتب * ثم الشهيد عليك منك فأين منه المهرب * قال محمد بن السماك الواعظ بلغني ان بعبادان عابدا قد ترك الدنيا وراء ظهره وأقبل على الآخرة بقلبه قال فسرت الى زيارته من الكوفة حتى أتيت الى عبادان فسألت عن منزل

الرجل فدلونى عليه فاتيت اليه وطرقت الباب فخرجت الى جارية
عليها عباءة خلقة توارى جسدها فسلمت عليها فردت على السلام
فقلت لها ياجارية هذا منزل العابد فقالت نعم فقلت لها استأذنى
لى عليه ثم ناولتها درهما فقالت ياأيها الرجل مارأيت أعجب منك
نحن قوم لانأخذ الرشوة على الدخول علينا ادخل على اسم الله
وخذ درهمك قال فتعجبت منها ثم دخلت ودخلت خلفها الى موضع
مورا بحصير فاستأذنت فأذن لها فقالت معى انسان يريد رؤيتك
فقال ائذنى له فدخلت فرأيت شخصا قد ذبل من غير ألم ونحل
من غير سقم وهو جالس على شفير قبر يتلو قوله تعالى (أم حسب
الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات
سواء محياهم ومماتهم ساء مايحكمون) فسلمت عليه بعد فراغه
فرد على السلام ثم أطرق ساعة ثم رفع رأسه وقال من أين
أقبلت قلت من الكوفة فقال انت من بلد محمد بن السماك الواعظ
قلت نعم انا هو محمد بن السماك ففرح بى فرحا شديداً وصافحنى
وقال لى يابن السماك اعلم ان الواعظ منزلته بمنزلة الاطباء فمنهم من
يكون شفيقا ومنهم من يكون فظا غليظا وبى ألم وداء قد أعيي
المعالجين قبلك فتأنّ علىّ برفقك وداوِ ألمى بلطفك وأعرض عليه
بعض مايلائمه من أدويتك ولفظك فانى مشتاق إلى ذلك فقلت

له ياسيدى كيف يداوى مثلى مثلك فقد أتيت إلى زيارتك أبتغى
فضل دعائك وبركتك فقال ياابن السماك هات من الفاظك وطيب
كلامك فقلت له ياسيدى كيف بنا إذا صرنا إلى ظلم القبور وضيق
اللحود ومسألة منكر ونكير فصاح صيحة عظيمة نخر مغشيا
عليه فنادتنى زوجته من الحصير ناشدتك الله لاتزده فى الموعظة
فيهلك وأقبلت ابنته تقول ياعم ناشدتك الله لاتزده شيئا فقد
قتلته وبلغته الى ماهو فيه قال فسكت عنه فلما أفاق قال ياابن
السماك لقد ضيق مرهمك جرحى ووقع دواؤك قرح دائى فاذكر
مابعد ذلك فقلت له إن أهلك منعونى أن لاأزيدك شيئا فبكى وقال
أما علمت أن ليس على الانسان أشر من أهله وولده فما يكون بعد
ذلك ياابن السماك فقلت الطامة الكبرى قال وما هى قلت النفخ
فى الصور وخروج الخلائق من القبور وهم يحملون الاوزار على
الظهور والوقوف بين يدى ملك لايجور فيحاسب على الفتيل والنقير
والقطمير والملائكة ينظرون يقول الجليل جل جلاله (خذوه فغلوه
ثم الجحيم صلوه) قال فلما سمع ذلك ظن أنه المأخوذ فصاح صيحة
عظيمة وخر مغشيا عليه وخر فى القبر نخرجت زوجته وهى تبكى
وتقول حكم الله بينى وبينك يا ابن السماك كما قتلته وأيتمت ولدى
وخرجت ابنته وهى صارخة تبكى فنزلت اليه ورفعت رأسه

وجعلت تمسح الدم عن وجهه وتقول ياابت ماأحسن عينيك طالما أغمضتهما عن محارم الله ياأبت ما أحسن لسانك طالما كان رطبا بذكر الله ففتح عينيه وأفاق من غشيته وقال ياابن السماك أناأشهد ان لا إله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله ثم شهق شهقة فمات فلحقني عليه وجد وحزن فما برحت حتى غسلوه وكفنوه وكنت في جملة من صلوا عليه (شعر)

الى كم ذا التغافل والتمادى * وحادى الموت بالارواح حادى
فلو كنا جمادا لاتعظنا * ولكنا اشد من الجماد
تناديـنا المنية كل يوم * ولكن الذنوب لفى ازدياد
اذا ما الزرع قارنه اصفرار * فليس دواؤه غير الحصاد
كأنك بالمشيب وقد تبدى * وبالاخرى مناديها ينادى
وقالوا قد مضى فاقرءوا عليه * سلامكم الى يوم التنادى

(وحكى) أن ابراهيم بن ادهم رضى الله عنه أتت عليه ليلة باردة ممطرة فاتى بعض المساجد ليبيت فيه فلما صلي العشاء وخرج الناس من المسجد جاءه إمام المسجد وقال له قم اخرج من المسجد قال فقلت له يا أخى أنا رجل غريب وعابر سبيل فاتركنى الليلة أبيت ههنا إلى غد واروح الى حال سبيلى فقال لاسبيل الى ذلك اخرج واطلب لك غير هذا فقلت له يااخى اما ترى هذا المطر

وهذا البرد الشديد فانا غريب ويكفيك ما ترى من سوء حالى قال ابراهيم فلما اطلت عليه الكلام اخذ برجلي وجرني جرا شديدا عنيفا الى مزبلة خارج المسجد وقد غضب غضبا شديدا فرماني عليها وتركني فقمت وقد تهشمت لماجربو جلي وبقيت متحير الا ادرى اين أتوجه فرأيت بالقرب مني مستوقد حمام ووقادا يوقد فيه فأتيته وسلمت عليه فلم يرد على السلام فلما فرغ من عمله نظر إلى ورد على السلام فقلت له ياهذالم لارددت على السلام فى وقته فقال ياهذا اعلم انى رجل أجير لانسان فى هذا المكان فخفت ان اشتغل معك فى السلام فأقصر فى عملى فآثم على تقصيرى فقلت له انى رأيتك تنظر يمينا وشمالا أتخاف من احد قال نعم اخاف من الموت لا ادرى من اين يأتى قلت فبكم تعمل كل يوم قال بدرهم ودانق فأنا أنفق الدانق على وانفق الدرهم على اولاد أخ لى مات قلت اخوك من امك وابيك قال لاهو أخ واخيته فى الله تعالى فمات وخلف صبيانا صغارا فأنا انفق عليهم منذ عشرين سنة قلت هل سألت الله حاجة قط قال نعم سألت الله حاجة منذ عشرين سنة وما قضيت قلت وماهى قال سألته ان يريني ابراهيم بن ادهم واموت فقلت له يا اخى ما رضى ان يأتيك إلا مسحوبا على وجهه انا ابن ادهم قال أنت ابن ادهم قلت نعم قال فوثب من مكانه وعانقنى ثم قال لى ضع رأسى فى حجرك

ففعلت فسمعته يقول الهى قضيت حاجتى فاقبضنى اليك قال ابراهيم فحركته فاذا هو قد مات فلما اصبح الصباح واذا بأقوام قد اتوا وعليهم نور عظيم فساعدونى على غسله وتكفينه وصلينا عليه ودفناه فرأيته تلك الليلة فى المنام وهو فى روضه خضراء وعليه حلة حمراء وهو يمشى ويتبختر فلما رآنى تبسم واقبل الى وعانقنى فقلت له ماهذا الذى اراه عليك قال هذه درجة المقبولين واشارة العاملين رضوان الله عليهم اجمعين

(فصل فى قصة الاسراء والمعراج)

ومما امتاز به هــذا الشهر الحرام وقوع الاسراء والمعراج فيه لنبينا صلى الله عليه وسلم ولنذكر لك ذلك على ما أشارت اليه صحاح الاخبار مع تهذيب العبارة وتقريبها للافهام فنقول وبالله التوفيق اعلم هداك الله الى الدين القويم * ومتعنى واياك بالنظر الى وجهه الكريم * انه لما كان صلى الله عليه وسلم ثمرة شجرة الكون * ومكنون سر معنى كلمة كن * ولم يكن بد من عرض هــذه الثمرة بين يدى مثمرها * ورفعها الى قرب منشئها والطواف بها عــلى عجائب ملكوت الارض والسموات ارسل اليه جبريل وميكائيل ومعهما ملك آخر وكان صلى الله عليه وسـلم عند البيت فى الحجر مضطجعا بين النائم واليقظان وهو بين الحمزة عمــه وجعفر بن عمه

أبي طالب بعد أن حمل من بيت أم هانئ فايقظه جبريل ولسان حاله يقول قم أيها النجم الثاقب * فقد هيئت لك الغنائم والمواكب * فاستيقظ وقال بلسان الحال ياجبريل الى أين * قال يامحمد ارفع الاين من البين * أنا رسول القدم * ارسلت اليك لاكون من جملة الخدم * يامحمد انت مراد الارادة الكل مراد لاجلك وانت مراد لاجله انت صفوة كأس المحبة * انت شمس المعارف * انت بدر اللطائف * فقال عليه الصلاة والسلام ياجبريل فالكريم يدعونى اليه فما الذى يفعل بى قال (ليغفر لك ماتقدم من ذنبك وما تأخر) فقال ياجبريل هذا لى فما لامتى قال (ولسوف يعطيك ربك فترضى) قال ياجبريل الآن قد طاب قلبي * وها أنا ذاهب الى ربى * فاحتملته الملائكة حتى جاءوا به الى زمزم فاستلقوه فتولاه منهم جبريل فشق من ثغرة نحره الى أسفل بطنه ثم قال جبريل لميكائيل ائتنى بطست من ماء زمزم فاستخرج قلبه فغسله ثلاث مرات ونزع ما كان فيه من أذى ثم أتى بطست من ذهب ممتلئ حكمة وايمانا فافرغه فى صدره وملأه حلما وعلما ويقينا واسلاما ثم اطبقه فالتأم سريعا ثم ختم جبريل بين كتفيه بخاتم النبوة بازاء قلبه ثم أتى بالبراق مسرجا ملجما * ومن عجيب امره انه يضع حافره حيث ادرك طرفه فاذا اتى على جبل ارتفعت رجلاه واذا هبط ارتفعت يداه فقدمه جبريل وقال اركب

فلما تقدم نفر عنه فقال جبريل يابراق أما تستحي من محمد صلى الله عليه وسلم فوالذى نفسي بيده ماركبك خلق اكرم على الله منه فارفض عرقا ثم ثبت فقال جبريل اركب يا سيد المرسلين . قيل لما أراد الركوب بكى فسأله جبريل عن ذلك فقال تذكرت أمتي هل يركبون يوم القيامة قال نعم (يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفداً) أي ركبانا فاتسر صلى الله عليه وسلم بذلك وركب وانطلق فكان الآخذ بركابه جبريل وبزمام البراق ميكائيل فساروا حتى بلغوا أرضا ذات نخل فقال له جبريل يا محمد صل ههنا ففعل فقال صليت بطيبة واليها تهاجر ان شاء الله فساروا حتى بلغوا أرضا بيضاء فقال له صل ههنا فصلى قال صليت بمدين عند شجرة موسى وهي التي استظل بها حين خرج خائفا من فرعون فساروا فقال صل ههنا ففعل قال صليت بطور سيناء حيث كلم الله موسى ثم بلغ أرضا بدت له قصور فقال صل ههنا فصلى قال صليت ببيت لحم حيث ولد عيسى بن مريم وتجلت له في سيره هذا من عالم الغيب حقائق كثيرة ظهر بعضها في هيئة المثال فكان يسأل عنه جبريل فيبين جبريل عليه السلام له صلى الله عليه وسلم حقيقة المراد منه وظهر بعضها لبا بلا قشر فانه بينما هو يسير على البراق اذا رأى عفريتا من الجن يطلبه بشعلة من نار كلما التفت رآه فقال له جبريل ألا أعلمك كلمات اذا قلتهن

طفئت شعلته وخر لفيه قال بلى قال قل (اعوذ بوجه الله الكريم وكلمات الله التامات التى لايجاوزهن بر ولا فاجر من شر ماينزل من السماء ومن شر ما يعرج فيها ومن شر ماذرأ فى الارض ومن شر مايخرج منها ومن فتنة الليل والنهار ومن طوارق الليل والنهار الا طارقا يطرق بخير يارحمن) فانكب لفيه وطفئت شعلته فساروا حتى أتوا على قوم يزرعون فى يوم ويحصدون فى يوم كلما حصدوا عاد كما كان فقال ياجبريل ماهذا قال هؤلاء المجاهدون فى سبيل الله تعالى تضاعف لهم الحسنة بسبعمائة ضعف . وشم ريحا طيبة فقال ما هذه الرائحة فقال هذه رائحة ماشطة بنت فرعون وزوجها وأولادها ثبتوا على الدين الحق فلما علم بهم فرعون حاول أن يردهم عن دينهم فما استطاع فأمر بقدر كبيرة من نحاس فاحميت ثم القوا فيها وماتوا على إيثار الآخرة على الدنيا وتفضيل صيانة الدين على صيانة الانفس وأتوا على قوم ترضخ أى تكسر رءوسهم بالصخر كلما رضخت عادت صحيحة ولا يفتر عنهم فقال يا جبريل ما هؤلاء قال هؤلاء الذين تتثاقل رءوسهم عن الصلاة المكتوبة . ثم اتوا على قوم على اقبالهم رقاع وعلى ادبارهم رقاع يسرحون كما تسرح الابل والغنم ويأكلون الضريع أى الشوك اليابس والزقوم أى ثمر شجرة فى النار كريهة الطعم ورضف جهنم أى الحجارة المحماة فقال من هؤلاء يا جبريل

قال هؤلاء الذين لا يؤدون صدقات أموالهم . ثم أتوا على قوم
بين أيديهم لحم طيب نضيج ولحم آخر نيء خبيث فجعلوا يأكلون
من النيء الخبيث ويدعون الطيب فقال ما هذا يا جبريل قال هذا
الرجل تكون عنده المرأة الحلال الطيبة فيأتي امرأة خبيثة فيبيت
عندها حتى يصبح والمرأة تقوم من عند زوجها حلالا طيبا فتأتي
رجلا خبيثا فتبيت معه حتى تصبح . ثم أتوا على خشبة على الطريق
لا يمر بها ثوب ولا شيء الا خرقته فقال ما هذا يا جبريل قال هذا
مثل أقوام من أمتك يقعدون على الطريق فيقطعونه . ورأى رجلا
يسبح في نهر من دم يلقم الحجارة فقال ما هذا قال هذا مثل آكل
الربا . ثم أتوا على رجل قد جمع حزمة حطب لا يستطيع حملها وهو
يزيد عليها فقال ما هذا يا جبريل قال هذا الرجل من أمتك تكون
عنده أمانات الناس لا يقدر على أدائها ويريد أن يتحمل عليها . ثم
أتوا على قوم تقرض السنتهم وشفاههم بمقاريض من حديد كلما
قرضت عادت قال من هؤلاء يا جبريل قال هؤلاء خطباء الفتنة
خطباء أمتك يقولون ما لا يفعلون . ثم مروا بقوم لهم اظفار من
نحاس يخمشون بها وجوههم وصدورهم فقال من هؤلاء يا جبريل
قال هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في أعراضهم ثم أتوا
على جحر صغير يخرج منه ثور عظيم يريد أن يرجع من حيث خرج

فلا يستطيع فقال ما هذا ياجبريل قال هذا الرجل يتكلم بالكلمة
العظيمة ثم يندم عليها فلا يستطيع أن يردها . ثم أتوا على واد
فوجد ريحا طيبة باردة وريح المسك وسمع صوتا حسنا فقال ياجبريل
ما هذا قال هذا صوت الجنة تقول يارب قد كثرت غرفى واستبرقى
وحريرى وسندسى وعبقرى ولؤلؤى ومرجانى وفضتى وذهبى
واكوابى وصحافى واباريقى وعسلى ومائى ولبنى وخمرى فأتنى بما وعدتنى
فقال جل وعلا لك كل مسلم ومسلمة ومؤمن ومؤمنة ومن آمن بى
وبرسلى وعمل صالحا ولم يشرك بى شيئا ومن خشينى فهو آمن ومن
سألنى أعطيته ومن توكل على كفيته انى أنا الله لا اله الا أنا لا اخلف
الميعاد * وقد أفلح المؤمنون * وتبارك الله أحسن الخالقين * قالت
رضيت ثم أتوا على وادفسمع صوتا منكرا ووجد ريحا منتنة فقال
ماهذا ياجبريل قال هذا صوت جهنم تقول يارب قد كثرت سلاسلى
وأغلالى وسعيرى وحميمى وضريعى وغساقى وعذابى فأتنى بما
وعدتنى فقال لك كل مشرك ومشركة وكافر وكافرة وكل جبار متكبر
لا يؤمن بيوم الحساب قالت رضيت وليست الجنة والنار فى هذين
الواديين فان الجنة عرضها السموات والارض بل كشف له عنهما فيهما .
وبينما هو يسير اذ دعاه داع عن يمينه يا محمد انظرنى أسألك فلم يجبه
قال ماهذا ياجبريل قال هذا داعى اليهود أما انك لو أجبته لتهودت

أمتك من بعدك . ثم دعاه داع عن شماله يامحمد انظرنى فلم يجبه
قال ماهذا ياجبريل قال هذا داعى النصارى أما انك لو أجبته
لتنصرت أمتك من بعدك * ثم سار واذا بامرأة كاشفة عن ذراعيها
وعليها من كل زينة فقالت يامحمد انظرنى أسالك فلم يلتفت اليها
قال ماهذه ياجبريل قال هذه الدنيا أما انك لو أجبتها لاختارت
أمتك الدنيا على الآخرة . ثم سار فاذا هو بعجوز على جانب
الطريق فقالت يامحمد انظرنى فلم يلتفت اليها فقال ماهذه ياجبريل
قال هذه إشارة الى أنه لم يبق من عمر الدنيا الا مابقى من عمر
تلك العجوز . ثم سار فاذا هو بشيخ يدعوه متنحيا عن الطريق
يقول هلم انظرنى يامحمد فقال ياجبريل ماهذا قال هذا عدو الله
إبليس أراد ان تميل اليه . ثم سار فمر على رجل يصلى فى قبره عند
الكثيب الأحمر فسلم عليه فرد عليه السلام وقال من معك
ياجبريل قال هذا أحمد فقال مرحبا بالنبى العربى الذى نصح أمته
ودعا له بالبركة وقال سل لامتك اليسرى فقال من هذا ياجبريل
قال هذا موسى بن عمران * ثم مر بابراهيم فسلم عليه فرد عليه
السلام وقال من معك ياجبريل قال ابنك أحمد فقال مرحبا بالنبى
العربى الامى الذي بلغ رسالة ربه ونصح أمته يابنى انك لاق ربك
الليلة وان أمتك آخر الامم وأضعفها فان استطعت أن تكون

حاجتك أوجلها في أمتك فافعل ودعا له بالبركة فقال ياجبريل من
هذا قال أبوك ابراهيم * ثم سار حتى دخل مدينة بيت المقدس
من بابها اليماني فدخل المسجد من باب تميل فيه الشمس والقمر أي
يميلان اليه عند طلوعهما وعنه اذا انحازا الى جهة المغرب فهو من
جهة المشرق فأتى جبريل الصخرة التي ببيت المقدس فوضع أصبعه
فيها فخرقها وشد البراق بها وكان صلى الله عليه وسلم قد نزل عند
باب المسجد وربطه بالحلقة التي كانت تربط بها الانبياء قبله فحله
جبريل وفعل ماسمعت وكأنه يقول له لست ممن يكون مركوبه
بالباب بل انت أعلى وأغلى فلا يكون مركوبك الا داخل المحل
ثم لما دخل هو وجبريل صلى كل واحد ركعتين فقال جبريل يامحمد
هل سألت ربك إن يريك الحور العين قال نعم قال فانطلق الى
أولئك النسوة فسلم عليهن فانطلق فرآهن عن يمين الصخرة فسلم
عليهن فرددن عليه السلام قال لهن لمن انتن فقلن نحن خيرات
حسان نساء قوم نقوا من الذنوب فلم يدرنوا وأقاموا فلم يظعنوا
وخلدوا فلم يموتوا ثم انصرف فلم يلبث الا يسيرا حتى اجتمع
ناس كثير فعرف النبيين من بين قائم وراكع وساجد ثم أذن
جبريل وأقيمت الصلاة فتدافعوا حتى قدموا محمداً صلى الله
عليه وسلم باشارة جبريل عليه السلام عليهم بذلك فصلى بهم فلما

قضيت الصلاة أثنى كل على ربه فقال محمد صلى الله عليه وسلم
كلكم أثنى على ربه وأنا مثن على ربي فأقول الحمد لله الذى ارسلنى
رحمة للعالمين وكافة للناس بشيرا ونذيرا وأنزل على القرآن فيه تبيان
كل شئ وجعل أمتى خير أمة أخرجت للناس وجعل أمتى أمة
وسطا وجعل أمتى هم الأولون والآخرون وشرح لى صدرى
ووضع عنى وزرى ورفع لى ذكرى وجعلنى فاتحا خاتما * فقال
ابراهيم عليه السلام بهذا فضلكم محمد صلى الله عليه وسلم ثم أخذه
صلى الله عليه وسلم من العطش اشد ما اخذه فاتى بآنيه اربعة
لبن وماء وخمر وعسل مغطاة أفواهها فشرب الاول وترك الباقية
فقال له جبريل اخترت الفطرة وهى دين الاسلام ولو شربت الماء
لغرقت امتك أو الخمر لغوت امتك واعلم ان ليلة الاسراء كانت ام
العجائب فمن عجائبها ان صلاح الامة وفسادها مربوط بافعاله صلى
الله عليه وسلم فيها ولخفى لطف الله تعالى وفق صلى الله عليه وسلم
الى الفعل الذى يترتب عليه صلاحها وترك ما يترتب عليه فسادها
(ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء) الاترى كيف صرفه الله تعالى عن
اجابة داعى اليهود والنصارى (وهو هو اهما) ظهر له فى هذه الصورة
والهمه شرب اناء اللبن وترك ماعداه فلله الحمد والمنة * ثم اتى بالمعراج
من جنة الفردوس له مرقاة من ذهب وأخرى من فضة وكان جملتها

عشرا سبع الى السموات السبع والثامنة الى اعلى سدرة المنتهى والتاسعة الى ماسمع فيه صريف الاقلام والعاشرة السحابة التى رفعته الى حيث المشاهدة والمخاطبة * وكل مرقاة كانت تسقط من محلها حتى يضع النبي صلى الله عليه وسلم قدميه عليها فترتفع به الى محلها فتسقط الاخرى وهكذا فصعد النبي صلى الله عليه وسلم ومعه جبريل حتى انتهيا الى باب من ابواب سماء الدنيا يقال له باب الحفظة فاستفتحه جبريل فقال الموكل بالباب ومن معك قال محمد قال اوقد ارسل اليه قال نعم قال مرحبا به واهلا حياه الله من اخ ومن خليفة فنعم الاخ ونعم الخليفة ونعم المجيء جاء * وهكذا كانت مقالة ملائكة كل سماء حين يستفتحها جبريل ففتح لهما فاذا فيها آدم عليه السلام تعرض عليه ارواح ذريته المؤمنين فيقول روح طيبه ونفس طيبه اجعلوها فى عليين ثم تعرض عليه ارواح ذريته الكفار فيقول روح خبيثه ونفس خبيثة اجعلوها في سجين . ورأى عن يمينه ارواحا وبابا يخرج منه ريح طيبة وعن شماله أرواحا وبابا يخرج منه ريح خبيثة منتنة فاذا نظر قبل يمينه ضحك واستبشر واذا نظر قبل شماله حزن وبكى فسلم عليه النبي صلى الله عليه وسلم فرد عليه السلام وقال مرحبا بالابن الصالح والنبي الصالح فقال النبي من هذا ياجبريل قال هذا أبوك آدم وهذه الارواح

ارواح بنيه فأهل اليمين منهم اهل الجنة واهل الشمال منهم اهل النار وهذا الباب الذى عن يمينه باب الجنة اذا نظر من يدخله من ذريته ضحك واستبشر والباب الذى عن شماله باب جهنم اذا نظر من يدخله من ذريته بكى وحزن أى ان الجنة كانت تنكشف له من جهة اليمين والنار من جهة الشمال قال بعض الافاضل والظاهر ان هذه الارواح المعروضة هى التى خرجت من الاجساد الي البرزخ فيحكم عليه السلام لها أو عليها على حسب ماقدمت به على بارئها من ايمان أو كفر ولا يلزم من عرض الارواح فى السماء على آدم صلى الله عليه وسلم ان تفتح ابواب السماء للكفار فان العرض يحصل بالكشف له عنها وهى من الخارج ثم مضى قليلا فاذا هو باقوام بطونهم امثال البيوت كلما نهض احدهم خر فقال ياجبريل من هؤلاء قال هؤلاء الذين ياكلون الربا من امتك (لايقومون الا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس) ثم مضى قليلا فاذا هو بأقوام لهم مشافر كمشافر الابل فتفتح افواههم ويلقمون جمرا فسمعهم يضجون الى الله تعالى فقال ياجبريل من هؤلاء قال هؤلاء (الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما انما يأكلون فى بطونهم ناراً وسيصلون سعيرا) ثم مضى قليلا فاذا هو بنساء معلقات من ثديهن ونساء منكسات معلقات من ارجلهن فسمعهن

يضججن الى الله فقال من هؤلاء ياجبريل قال هؤلاء اللاتي يزنين*
ثم مضى قليلا فاذا هو باقوام يقطع من جنوبهم اللحم ويطعمونه
فيقال كل كما كنت تاكل من لحم أخيك فقال ياجبريل من هؤلاء
قال الهمازون من امتك اى المغتابون اللمازون اى العيابون ثم اذن
جبريل وأقيمت الصلاة واخذ جبريل بيده صلى الله عليه وسلم فقدمه
فصلى بالملائكة ركعتين وهكذا كان يفعل جبريل به فى كل سماء
حين فراقها . ثم صعدا على مرقاة المعراج الثانية فارتفعت بهما الى
السماء الثانية فلما خلصا اذا هما بابنى الخالة عيسى بن مريم ويحيى بن
زكريا شبيه احدهما بصاحبه بثيابهما وشعرهما ومعهما نفر من قومهما
واذا عيسى جعد مربوع يميل الى الحمرة والبياض فسلم عليهما فردا
عليه السلام ثم قالا مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح وبشراه ودعوا
له بخير . ثم صعدا على مرقاة المعراج الثالثه فارتفعت بهما الى السماء
الثالثة فلما خلصا اذا هما بيوسف ومعه نفر من قومه فسلم عليه فرد
عليه السلام ثم قال مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح ودعا له بخير
فقال من هذا ياجبريل قال اخوك يوسف . ثم صعدا على مرقاة المعراج
الرابعة فارتفعت بهما الى السماء الرابعة فلما خلصا اذا هو بادريس قد رفعه
الله مكانا علياً فسلم عليه فرد عليه السلام ثم قال مرحبا بالاخ
الصالح والنبي الصالح ثم دعا له بخير . ثم صعدا على مرقاة المعراج

الخامسة فارتفعت بهما الى السماء الخامسة فلما خلصا اذا هو بهارون
ونصف لحيته ابيض ونصفها اسود تكاد تضرب الى سرته من طولها
وحوله قوم من بنى اسرائيل وهو يقص عليهم اخبار الامم الماضية
فسلم عليه فرد عليه السلام ثم قال مرحبا بالاخ الصالح والنبي
الصالح ثم دعا له بخير فقال من هذا ياجبريل قال هذا الرجل المحبب
فى قومه هارون بن عمران . ثم صعدا على مرقاة المعراج السادسة
فارتفعت بهما الى السماء السادسة فلما خلصا جعل يمر بالنبيين وأممهم
ثم مر بسواد عظيم فقال ماهذا قال موسى وقومه ولكن ارفع
رأسك فاذا هو بسواد عظيم قد سد الافق فقيل له هؤلاء أمتك
وسوى هؤلاء سبعون الفاً يدخلون الجنة بغير حساب فسلم النبي
على موسى فرد عليه السلام ثم قال مرحبا بالاخ الصالح والنبي
الصالح ثم دعا له بخير وقال يزعم الناس انى اكرم على الله من هذا
بل هو أكرم على الله منى . ثم صعدا على مرقاة المعراج السابعة
فارتفعت بهما الى السماء السابعة فلما خلصا فاذا النبي عليه الصلاة
والسلام بابراهيم الخليل جالس عند باب الجنة على كرسى من ذهب
مسند ظهره الى البيت المعمور ومعه نفر من قومه فسلم عليه النبي
فرد عليه السلام وقال مرحبا بالابن الصالح والنبي الصالح ثم قال
مر أمتك فلتكثر من غراس الجنة فان تربتها طيبة وارضها واسعة

فقال وما غراس الجنة قال لاحول ولا قوة الا بالله العلي العظيم
وفى رواية سبحان الله والحمد لله ولا إله الا الله والله أكبر وعنده
قوم جلوس بيض الوجوه أمثال القراطيس وقوم في ألوانهم شئ
فقام هؤلاء الذين فى الوانهم شئ فدخلوا نهراً فاغتسلوا فيه فخرجوا
وقد خلص من الوانهم شئ ثم دخلوا نهراً آخر فاغتسلوا فيه
فخرجوا وقد خلص من ألوانهم شئ . ثم دخلوا نهراً آخر فاغتسلوا
فيه وقد خلصت ألوانهم فصارت مثل الوان اصحابهم فقال ياجبريل
من هؤلاء البيض الوجوه ومن هؤلاء الذين فى الوانهم شئ وما
هذه الانهار التى دخلوها فقال اما هؤلاء البيض الوجوه فقوم (لم
يلبسوا ايمانهم بظلم) وأما هؤلاء الذين فى الوانهم شئ فقوم
(خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا) فتابوا فتاب الله عليهم وأما هذه
الانهار فأولها رحمة الله والثانى نعمة الله والثالث (وسقاهم ربهم
شرابا طهورا) وقيل له هذا مكانك ومكان أمتك واذا هو بأمته
شطران شطر عليهم ثياب كأنها القراطيس وشطر عليهم ثياب رمد
فدخل البيت المعمور ودخل معه الذين عليهم الثياب البيض وحجب
الآخرون الذين عليهم الثياب الرمد وهم على خير فصلى ومن معه
من المؤمنين فى البيت المعمور وإذا هو يدخله كل يوم سبعون الف
ملك لايعودون اليه الى يوم القيامة وانه بحذاء الكعبة لو خر منه

هجر خلو عليها . ثم أتى الى سدرة المنتهى وهى شجرة عظيمة لها
اوراق كآذان الفيلة تكاد الورقة تغطى هذه الامة واذا نبقها مثل
قلال هجر وما أحـد من خلق الله يستطيع ان ينعتها من حسنها
يخرج من اصلها اربعة أنهار نهران ظاهران ونهران باطنان فقال
ماهـذه الانهار ياجبريل قال أما الباطنان ففى الجنة وهما الكوثر
والسلسبيل وأما الظاهران فالنيل والفرات قال جمهور أهل العلم
ان الله تبارك وتعالى بقدرته انزل اصول هـذه الانهار من الجنة
كيف شاء واستودعها حيث شاء من هـذا العالم ثم اجراها فى
الأرض من المنابع التى يشاهـدها الناس ولا بعيد على قدرته
عز وجل وقيل ان معنى كون النيل وغيره من انهار الدنيا آتية من
الجنة انها شبيهة بأنهارها فى العذوبة والبركة والمنافع الكثيرة وعلى
هذا فيكون النيل والفرات اللذان رآهما ينبعان من أصل السدرة
ليسا بالنهرين اللذين عندها بل مارآه انما هو صورة مثالية خلقت
له اذ ذاك ليستفاد منها جودة هذه الانهار وبركتها ومنافعها الغزيرة
حتى كأنها من الجنة وقد قدمنا ان الحقائق التى تجلت له صلى الله
عليه وسلم فى تلك الليلة على قسمين احدهما ظهر فى صورة مثالية
ولهذا كان يستفسر عنـه فيجيبه جبريل والثانى ظهر لبا بلا قشر
فيكون هذا المنظر الذى ظهر له عند السدرة قد جمع القسمين جميعا

فالنهران الظاهران من الاول والنهران الباطنان من الثانى ومن
تأمل هذه القصة الشريفة لم يخف عليه ما قلناه ثم أخذه على
الكوثر حتى دخل الجنة وبينما هو يمر فيها اذ عرضت عليه النار
وسيأتي تفصيل ذلك فى الفصل بعده ان شاء الله ثم صعدا على
مرقاة المعراج الثانية فارتفعت بهما الى أعلى سدرة المنتهى فرأى
على كل ورقة ملكا من الملائكة وغير ذلك مما سيأتى بيانه فى
تفسير آية المعراج . ثم صعدا على مرقاة المعراج التاسعة فارتفعت
بهما الى مستوى سمع فيه صريف الاقلام أى صوت حركتها
وجريانها على المكتوب فيه فى اقضية الله تعالى ووحيه وما
ينسخونه من اللوح المحفوظ أو ماشاء الله تعالى * ولما تم له صلى
الله عليه وسلم الاطلاع على ماشاء الله تعالى من عالم السوى وجاء
وقت قربه علا على مرقاة المعراج العاشرة قال له جبريل هذا
هو الموضع الذى افارقك فيه فقال اذا فارقتنى كيف يكون حالى
قال يامحمد انا من الروحانيين وهذا مقامى (ومامنا الا له مقام معلوم)
ولو جاوزته قدما واحداً لاحترقت من نور الجبار جل جلاله . ثم
قال لى تقدم فانت اكرم على الله منى ومن جميع خلقه واذا بمرقاة
المعراج العاشر سحابة فيها من كل لون فغشيته وطارت به تخرق
ماشاء الله من العوالم حتى اوصلته الى نور العرش فرأى رجلا

مغيبا فيه فقال من هـذا أملك قيل لا قال انبي قيل لا قال من هو قيل هـذا رجل كان فى الدنيا لسانه رطب بذكر الله وقلبه معلق بالمساجد (فائدة) يؤخذ من هذا الحديث فى شأن الرجل المغيب فى نور العرش انه لا شئ انفع في الوصول الى الله عز وجل من كثرة ذكره فلما غيب ذلك الرجل لسانه الذى هو من عالم الخلق فى نور الذكر فى دار الدنيا كان جزاؤه عنـد ربه ان يغيبه فى نور العرش الذى هو اعظم عالم الخلق ولو كان ذلك الرجل غيب قلبه الذى هو من عالم الامر الذى هو اشرف واعلى من عالم الخلق بتمامه فى نور الذكر بحيث خرس لسانه وانكف ظاهره عن الحركة استغراقا في الهيبة واستهلاكا فى الاحدية لكان جزاؤه ان يغيب فى نور رب العرش لا فى نور العرش ومن هنا نعلم ان فضل ذكر القلب على ذكر اللسان كفضل رب العرش . على نور العرش . فلما غشيته السحابة رأى ربه بعيني رأسه لا فى جهة ولا بانحصار خر ساجدا وكلمه ربه فقال له يامحمد قال لبيك يارب قال سل فقال انك اتخذت ابراهيم خليلا واعطيته ملكا عظيما وكلمت موسى تكليما واعطيت داود ملكا عظيما والنت له الحديد وسخرت له الجبال واعطيت سليمان ملكا عظيما وسخرت له الانس والجن والشياطين وسخرت له الرياح واعطيته ملكا

لا ينبغي لاحد من بعده وعلمت عيسى التوراة والانجيل وجعلته
يبرئ الاكمه والابرص ويحيي الموتى باذنك واعذته وامه من
الشيطان الرجيم فلم يكن للشيطان عليهما سبيل فقال الله تعالى قد
اتخذتك حبيبا وارسلتك للناس كافة بشيرا ونذيرا وشرحت لك
صدرك ووضعت عنك وزرك ورفعت لك ذكرك إلا ذكرت معي
وجعلت امتك خير امة اخرجت للناس وجعلت امتك امة وسطا
وجعلت امتك هم الاولون وهم الآخرون وجعلت امتك لا تكمل
لهم خطبة حتى يشهدوا انك عبدي ورسولي وجعلت من امتك
أقواما قلوبهم اناجيلهم وجعلتك اول النبيين خلقا وآخرهم بعثا
وأولهم يقضى له واعطيتك سبعا من المثاني لم اعطها نبيا قبلك
واعطيتك خواتيم سورة البقرة من كنز تحت العرش لم أعطها
نبيا قبلك واعطيتك الكوثر واعطيتك ثمانية اسهم الاسلام
والهجرة والجهاد والصدقة وصوم رمضان والامر بالمعروف
والنهي عن المنكر واني يوم خلقت السموات والارض فرضت
عليك وعلى امتك خمسين صلاة فقم بها انت وامتك والاسهم
جمع سهم وهو النصيب يعني أعطيتك ثمان خصال وخصصتك
بمجموعها فلا ينافي أن بعضها كان لغيره والمراد بالاسلام كلمتا
الشهادة ثم انجلت عنه السحابة بعد أن جاءت به الى موقف جبريل

وأخذ بيده جبريل فانصرف سريعا فأتى على ابرهيم فلم يقل شيئا
ثم أتى على موسى فقال يامحمد مافرض ربك عليك وعلى أمتك
قال خمسين صلاة كل يوم وليلة قال ارجع الى ربك فاسأله
التخفيف فان أمتك لا تطيق ذلك فرجع حتى انتهى الى حيث
تغشاه السحابة فغشيته فرأى ربه وخر ساجداً كالمرة الأولى ثم
قال رب خفف عن أمتى فانها أضعف الامم قال قد وضعت
عنهم خمسا ثم انجلت السحابة ورجع الى موسى فقال وضع عنى خمسا
فقال أرجع الى ربك فاسأله التخفيف فان أمتك لاتطيق ذلك فلم
يزل يرجع بين موسى وربه وربه يحط عنه خمسا خمسا حتى قال الله
تعالى يامحمد قال لبيك وسعديك قال هن خمس صلوات كل يوم
وليلة كل صلاة بعشر فتلك خمسون صلاة لايبدل القول لدى ولا
ينسخ كتابى أى الحكم الذى لم أرد نسخه وكونها خمسا منه ومن
هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة فان عملها كتبت له عشراً ومن
هم بسيئة فلم يعملها لم يكتب عليه شيء فان عملها كتبت سيئة
واحدة وانجلت السحابة فنزل حتى انتهى الى موسى فأخبره فقال
ارجع الى ربك فاسأله التخفيف فان أمتك لا تطيق ذلك فقال قد
راجعت ربى حتى استحييت منه ولكن ارضى واسلم فنادى مناد
أن قد أمضيت فريضتى وخففت عن عبادى فقال له موسى اهبط

بسم الله فلما نزل الى سماء الدنيا نظر الى أسفل منه فاذا هو برهج
ودخان واصوات فقال ماهذا ياجبريل قال هذه الشياطين يحومون
على عيون بني آدم حتى لا يتفكروا في ملكوت السموات والارض
ولولا ذلك لرأوا العجائب . ثم هبط في المعراج الى صخرة بيت
المقدس فاذا بالبراق على حاله فركب وسار فمر بعير بالروحاء قد
ضلوا ناقة لهم فانتهى الى رحالهم وليس بها منهم أحد واذا بقدح
ماء فشربه . ثم مر بعير لقريش وفيها جمل أحمر عليه غِرَارَتان
غِرَارَة سوداء وغِرَارة بيضاء فلما حاذى العير نفرت واستدارت
فصرع ذلك البعير وانكسر ثم مر بعير في التنعيم يقدمها جمل
اورق عليه مِسح اسود وغرارتان سوداوان ثم وصل الى بيت
الله الحرام فأنزله جبريل في داره . ثم ودعه فأوى الى فراشه فلما
أصبح الصباح وأتى المسجد عرف ان الناس تكذبه فقعد حزينا
فمر به أبو جهل فجاء حتى جلس فقال له كالمستهزئ هل كان من
أمرك شيء قال نعم قال ماهو قال أسري بي الليلة قال الى أين قال
الى بيت المقدس قال ثم أصبحت بين ظهرانينا قال نعم فقال أرأيت
إن دعوت قومك أتحدثهم بما حدثتني قال نعم قال يامعشر بني كعب
ابن لؤي هلم فجاءوا حتى جلسوا إليهما فقال حدث قومك بما حدثتني
به فقال صلى الله عليه وسلم إني أسري بي الليلة قالوا الى أين قال

الى بيت المقدس قالوا ثم أصبحت بين ظهرانينا قال نعم فصاروا
بين مصفق وواضع يده على رأسه متعجبًا وضجوا وأعظموا ذلك .
فقال المطعم بن عدى كل أمرك قبل اليوم كان سهلا غير قولك
اليوم نحن نضرب أكباد الابل الى بيت المقدس مصعدا شهرا
ومنحدرا شهرا وتزعم أنك أتيته فى ليلة واللات والعزى لا
أصدقك فقال أبو بكر يا مطعم بئس ماقلت لابن أخيك أنا أشهد
أنه صادق فقالوا يا محمد صف لنا بيت المقدس كيف بناؤه وكيف
هيئته وكيف قربه من الجبل وفى القوم من سافر اليه فذهب
ينعت لهم بناءه كذا وهيئته كذا وقربه من الجبل كذا فما زال
ينعته لهم حتى التبس عليه نعته فكرب كربا ما كرب مثله فجئ
بالمسجد وهو ينظر اليه حتى وضع دون دار عقيل فقالوا كم
للمسجد من باب فجعل ينظر اليها يعدها لهم بابا بابا ويعلمهم وأبو
بكر يقول صدقت صدقت أشهد أنك رسول الله فقال القوم أما
النعت فوالله لقد أصاب ثم قالوا لابى بكر أفتصدقه أنه ذهب
الليلة الى بيت المقدس وجاء قبل أن يصبح قال نعم انى لأصدقه
فيما هو أبعد من ذلك بخبر السماء فى غدوة أو روحة فبذلك سمى
أبو بكر الصديق ثم قالوا يا محمد أخبرنا عن عيرنا قال أتيت على عير
بنى فلان بالروحاء قد ضلوا ناقة لهم فانطلقوا فى طلبها فانتهيت الى

رحالهم وليس بها منهم أحد واذا بقدح ماء فشربته ثم انتهيت الى عير بنى فلان بمكان كذا وكذا وفيها جمل أحمر عليه غرارة سوداء وغرارة بيضاء فلما حاذيت العير نفرت وصرع ذلك البعير وانكسر ثم انتهيت الى عير بنى فلان فى التنعيم يقدمها جمل أورق عليه مسح اسود وغرارتان سوداوان وهاهى تطلع عليكم من الثنية قالوا فتى تجىء العير التى بها الجمل الاحمر قال يوم الاربعاء فلما كان ذلك اليوم أشرفت قريش ينتظرون العير وقد ولى النهار ولم تجىء فدعا النبى صلى الله عليه وسلم فزيد له فى النهار ساعة وحبست له الشمس حتى ظهرت العير فاستقبلوا الابل وقالوا هل انكسر لكم جمل أحمر قالوا نعم ثم سألوا العير الاخرى فقالوا هل ضلت لكم ناقة قالوا نعم قالوا فهل كان عندكم قصعة من ماء فقال رجل أنا والله وضعتها فما شربها أحد منا ولا أهرقت فى الارض فرموه بالسحر فأنزل الله تعالى (وما جعلنا الرؤيا التى أريناك الا فتنة للناس)

﴿ فصل فى بعض ماراه صلى الله عليه وسلم فى ليلة المعراج ﴾

فمن عجائب ماراه صلى الله عليه وسلم أن عرضت عليه الجنة لانه كان يعرضها على أمته ليشتروها كما قال تعالى (ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة) فأراد الله تعالى أن

بمائن النبي صلى الله عليه وسلم مايعرضه على أمته ليكون وصفه
لها عن مشاهدة وليعلم خسة الدنيا فى جنب ماراآه فيكون فى الدنيا
أزهد وعلى الشدائد أصبر فلما دخلها صلى الله عليه وسلم فاذا فيها
مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر من النعيم
المقيم فرأى على بابها مكتوبا الصدقة بعشر أمثالها والقرض بثمانية
عشر فقال ياجبريل مابال القرض أفضل من الصدقة قال لأن
السائل يسأل وعنده شئ والمستقرض لايستقرض الا من حاجة
فسار فى الجنة فاذا هو بانهار من ماء غير آسن وانهار من لبن لم
يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى
واذا فيها جنابذ اللؤلؤ أى قبابه واذا رمانها كالدلاء واذا بطيرها
كالبخاتى . ورأى نهر الكوثر على حافتيه قباب الدر المجوف واذا
طينه مسك أذفر * ومن عجائب ماراآه صلى الله عليه وسلم أن
عرضت عليه النار وهو فى الجنة بان رفع عنه الحجاب حتى رآها
ليتم له علم مافى الملكوت بعين اليقين وليعلم حالها فيعلم ماأعده الله
لاعدائه كما أعلمه ماأعده لاحبابه فيزداد طمأنينة فرأى فيها أثر
غضب الله وزجره ونقمته لو طرح فيها الحجارة والحديد لأكلتها
فاذا فيها قوم يأكلون الجيف فقال من هؤلاء ياجبريل قال هؤلاء
الذين يأكلون لحوم الناس . ورأى مالكا خازن النار فاذا هو

كرجل عابس يعرف الغضب في وجهه فبدأ النبي صلى الله عليه وسلم بالسلام ثم حجبت عنه النار * ومن العجائب أنه صلى الله عليه وسلم رأى جبريل عند سدرة المنتهى وله ستمائة جناح كل جناح منها قد سد الافق أى النواحى المرئية يتناثر من أجنحته الامور المهولة كالدر والياقوت وغيرها مما لايعلمه الا الله * قال بعض أهل الاشارات من العارفين قال جبريل بلسان حاله للنبي صلى الله عليه وسلم يامحمد قدجعلتك الوسيلة فى حاجة قلت فيها حيلتى * وانقطعت فيها وسيلتى * وأنا فيها ذاهل الفكر * داهش السر * يامحمد حيرنى حين أوقفنى فى ميدان أزله وأبده * فجلت فى الميدان الاول * فما وجدت له أولا وجلت فى الميدان الآخر فاذا هو فى الآخر أول * فطلبت الرفيق * الى ذلك الفريق * فتلقانى ميكائيل فى الطريق * فقال الى أين والطرق مسدودة * والابواب دونه مردودة * ولا يوصف بالاماكن المحدوده * فقلت فما وقوفك فى هذا المكان قال شغلنى بكيال البحار * وانزال الامطار * وارسالها الى سائر الاقطار * فأعرف كم للبحار زبدا * وأعرف الامطار وسقوط الندى ولا أعرف لاحديته أمدا * قلت فأين اسرافيل قال فى مكتب التعليم يقرأ أمثال (ذلك تقدير العزيز العليم) فطرفه عن النظر مقصور * وقلبه عن الفكر محصور * فهو كذلك حتى يُنفخَ

فى الصور * قلت هل نسأل العرش ونستهديه * ونستفتح ماعنده ونستمليه * فلما سمع العرش مانحن فيه اهتز عجبا * ومال مضطربا وقال لاتحدث به جنانك * ولا تحرك به لسانك * فهذا سر لايكشفه حجاب * ولا يفتح دونه باب * وسؤال ليس عنه جواب * ومن أنا فى البين * حتى أعرف من هو بلا أين * وهو سبقنى بالاستواء * وقهرنى بالاستيلاء * فلولا استواؤه لما استويت * ولولا استيلاؤه لما اهتديت * فوعزته لقد خلقنى وفي بيداء أبديته حيرنى * وفي بحار احديته اغرقنى * فتارة يدنينى من مواقف قربه فيؤنسنى * وتارة يحتجب عنى بحجاب عزته فيوحشنى وتارة يواصلنى بكأس حبه فيسكرنى * فكلما استغرقت فى عربدة سكرى قلت رب ارنى انظر اليك * فيقول بلسان احديته لن ترانى فلما أفقت من سكرى * قال أيها المحب هذا جمال قد صناه * وحسن قد حميناه * فلا يراه الا يتيم قد ربيناه * وحبيب قد اصطفيناه * فاذا سمعت (سبحان الذى أسرى بعبده ليلا) فقف على طريق عروجه الينا وقدومه علينا * لعلك ترى من يرانا فلما انتهى النبي صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج الى العرش تمسك بذيله وناداه بلسان حاله يامحمد الى متى تشرب فى صفاء وقتك آمنا من مقتك يطوف بك على ندماء حضرته ويحملك على رفرف كرامته * تارة يشهدك جمال

أحدية (ما كذب الفؤاد مارأى وتارة يشهدك جمال صمدية (مازاغ البصر وما طغى) وتارة يطلعك على اسرار ملكوت (فاوحى الى عبده ماأوحى) وتارة يدنيك من حضرة قرب (فكان قاب قوسين أوأدنى) هذا وأنا الظمآن اليه . واللهفان عليه المتحير فيه لاأدرى من أي جهة آتيه * جعلني اعظمهم خلقه فكنت أعظمهم منه هيبة * وأكثرهم فيه حيرة* وأشدهم خيفة * يامحمد خلقني فكنت أرعد لهيبة جلاله فكتب على (قائمي لااله الا الله) فازددت لهيبة اسمه ارتعاداً فلما كتب (محمد رسول الله) سكن قلقي وهدأ روعى فهذه بركة وقع اسمك على فكيف اذاحل جميل نظرك الى . يامحمد انت المرسل رحمة للعالمين ولابدلى من نصيب من هذه الرحمة ونصيبي منها أن تشهدلى بالبراءة مما نسبه اهل الغرور الى وتقوله أهل الزور على زعموا أني أسع من لاحد له * وأحيط بمن لاكيفية له * يامحمد من لاحد لذاته * ولاعد لصفاته * كيف يكون مفتقراً الى ومحمولا علي * يامحمد اذا كان الرحمن اسمه * والاستواء صفته وصفته متصلة بذاته فكيف يتصل بى * او ينفصل عنى * لا انا منه ولاهو منى * أوجدنى منه رحمة وفضلا * ولو محقنى لكان منه حقاً وعدلا * يامحمد أنا محمول قدرته * ومعمول حكمته * فاجابه بلسان حاله صلى الله عليه وسلم * أيها العرش اليك عنى *

أنا مشغول عنك فلا تكدر علي صفوتي ولا تشوش علي خلوتي فما أعاره صلى الله عليه وسلم منه طرفا * ولا أقرأه من سطور ما أوحى اليه حرفا

﴿ فصل في تفسير آية الاسراء ﴾

اعلموا اخواني هداني الله وإياكم الى طريق الرشاد * ووقانا بمنه من الزيغ والضلال والعناد * ان الله سبحانه وتعالى قد اختص حبيبه محمدا صلي الله عليه وسلم بالاسراء من المسجد الحرام * بمكة الى المسجد الاقصى بالشام * والعروج الى السموات العلا الى سدرة المنتهى الى ما فوقها وشهوده صلى الله عليه وسلم باهر جماله تعالي كما جاء بذلك صريح الآيات القرآنية * والاحاديث الصحيحة النبوية وكان ذلك بجسده وروحه يقظة لا مناما في مدة يسيرة من الليل * ومن أنكر أن محمدا صلى الله عليه وسلم انتقل بجسمه من مكة الى العرش مع ما رأى صلى الله عليه وسلم من العجائب والغرائب في هذه المدة اليسيرة لامتناعه في العقل بسبب استبعاده سرعة هذه الحركة الى هذا الحد فلينظر الى سرعة فلك الشمس التي هي قدر كرة الارض مائة ونيفا وستين مرة عند قدماء علماء الهيئة اذ نراها بازغة من الارض وفي اسرع وقت نراها فارقة دائرة الافق مرتفعة مع عظم هذا الجسم فاذا كان هذا واقعا في الحس فكيف

يتصور امتناعه والممتنع مالا يتصور العقل وجوده وليتأمل فى تسخير الريح لسيدنا سليمان تسير فى ساعة مسافة شهر ونزول جبريل من العرش الى الفرش فى لحظة ما وليس حبيبه محمد صلى الله عليه وسلم أقل منزلة من جبريل ولا دون سليمان فى الكرامة بل اذا كانت هذه الكرامة لهما فله أضعاف المضاعفة عنهما فانه سيدهما وسيد الخلق اجمعين وكيف ينكر ذلك وقد جاء فى القرآن من قصة آصف بن برخيا وزير نبي الله سليمان عليه السلام اذ جاء بعرش بلقيس من أقصى اليمن قبل ارتداد الطرف . واتفق جمهور العلماء رضى الله عنهم على أن الاسراء كان بعد البعثة وقبل الهجرة بسنة وبه جزم النووى وحكى عن الزهرى الامام الحافظ المشهور أنه كان قبل الهجرة بخمس سنين ورجحه عياض ومن تبعه وعن أنس والحسن أنه كان قبل البعثة وهو شاذ . واختلف في الشهر الذى فيه وقع الاسراء فقيل فى شوال وقيل فى رمضان وقيل فى ربيع الثانى والذى جزم به النووى فى الروضة أنه كان فى شهر رجب . واختلف أيضا فى أى ليلة كان الاسراء والمعراج والذى اختاره الحافظ عبد الغنى المقدسى أنها ليلة سبع وعشرين من شهر رجب ويؤيده أن عمل الناس عليه قال ابن دحية والظاهر أن يوم تلك الليلة الشريفة كان يوم الاثنين ليوافق المولد والمبعث والهجرة والوفاة فان كل هذه الامور

وقت له صلى الله عليه وسلم فى هذا اليوم المبارك قال ابن الجوزى أوحى الله تعالى الى جبريل عليه السلام أن قف على أقدام عبوديتى معترفا بقدر ربوبيتى فقال الهى أنت الرب اللطيف . وأنا العبد الضعيف فنودى ياجبريل خذ علم الهداية و براق العناية . وخلع القبول والولاية . وانزل مع سبعين الف ملك الى باب شفيع الامم سيد العرب والعجم وقف ببابه . ولذ بجنابه . فانت الليلة صاحب ركابه ويا ميكائيل خذ بيدك علم القبول . وانزل الى باب حجرة الرسول ويا اسرافيل وياعزرائيل . افعلا كما يفعل جبريل وميكائيل فقال جبريل الهى أقرب قيام الساعة . قال لا ولكن لى حبيب أريد قربه لاطلعه على الاسرار واخلع عليه خلع الضياء والانوار فنزل جبريل على نبينا بالبشارة والتهانى * وهو راقد فى بيت أم هانى * فناداه أيها النبي المختار * قم الى حضرة الملك الغفار . فاسرى به الى حيث شاء الله وقد بين الله ذلك فى الكتاب المبين * فقال تعالى وهو أصدق القائلين (سبحان) هو اسم بمعنى التسبيح الذى هو التنزيه أى تنزه الله عن جميع صفات النقائص وهو انشاء للثناء به لا انشاء تنزيه لانه تعالى منزه أزلا وأبداً قبل ان ننزهه وبعده ومعه وانما المطلوب منا انشاء الثناء عليه تعالى به كانشاء الثناء بالحمد * روى ابن أبى حاتم عن على رضى الله عنه قال (سبحان الله كلمة أحبها

الله لنفسه ورضيها وأحب أن تقال له) وقد ورد في الحديث
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (من قال اذا أصبح سبحان
الله وبحمده الف مرة فقد اشترى نفسه من الله وكان آخر يومه
عتيق الله) رواه الطبراني في الاوسط والخرائطي والاصبهاني وغيرهم
وقوله اشترى نفسه أي أعتقها من عذابه فلا سبيل للنار عليه * وقال
صلى الله عليه وسلم (من قال سبحان الله العظيم وبحمده غرست له
نخلة في الجنة) رواه الترمذي وحسنه ورواه النسائي الا أنه قال شجرة
بدله نخلة وابن حبان في صحيحه والحاكم في موضعين باسنادين قال في
أحدهما على شرط مسلم وقال في الآخر على شرط البخاري اه وروى
عن بعض أهل العلم قال (ان لله بحراً من نور حوله ملائكة من نور
على خيل من نور وبايديهم حراب من نور يسبحون حول ذلك البحر
ويقولون سبحان ذي الملك والملكوت سبحان ذي العزة والجبروت
سبحان الحي الذي لا يموت سبوح قدوس رب الملائكة والروح
فمن قالها في كل يوم مرة أو في كل شهر مرة أو في كل سنة مرة
أو في عمره مرة غفر الله له ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر) (الذي)
اسم موصول يطلق على الله توصلا لما ليس من أسمائه ألا ترى أنه لا
يسمى مسريا (أسرى) وسرى بمعنى سار في الليل والاسراء حقيقة هو
السير المحسوس ليلا (بعبده) هو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الذي

هو اشرف عباده على الاطلاق وأحقهم بالاضافة اليه ولفظ العبد
من الصفات التى غلبت عليها الاسمية مأخوذ من العبودية التّى هى
نهاية التذلل والخضوع لامن العبادة التى هى لازمها وهى أفضل
من العبادة لبقائها فى الجنة دونها والعبودية هى ترك الاختيار
والاختيار . والثقة بالفاعل المختار . وعدم منازعة الاقدار والتسليم
لامر الواحد القهار . وليس للمؤمن صفة أشرف ولا أتم من
العبودية وقيل لما بلغ سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الدرجات
العالية والمراتب الرفيعة ليلة المعراج أوحى الله عز وجل اليه يا محمد
بم شرفتك قال يارب حيث نسبتنى الى نفسك بالعبودية فانزل الله
سبحان الذى أسرى بعبده وعبر الله تعالى بعبده دون نبيه أو حبيبه
حرصا على أمته أن يتجاوزوا الحد فيه بجعله الها فيفتتنوا كما افتتنت
اليهود والنصارى حيث زعمت الاولى أن العزير بن الله والثانية أن
المسيح بن الله (تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا) ولفظ عبد يكون أكبر
دليل وأتم برهان على أن الاسراء بالروح والجسد لان لفظ العبد لا
يطلق على الروح فقط ولا على الجسد فقط بل على الروح والجسد معا
عند جميع أهل اللغة قال تعالى (أرأيت الذى ينهى عبدا اذا صلى)
وقال (وأنه لما قام عبد الله يدعوه) ومن زعم أن الاسراء كان فى المنام
مستدلا بقوله (وماجعلنا الرؤيا التى أريناك الا فتنة للناس) بان

الرؤيا بالالف لا تكون الا للمنامية دون اليقظية العينية فردود
بان لا فرق بين الرؤية والرؤيا فى اللغة يقال رأيت بعيني رؤية
ورؤيا كما قال الامام ابن دحية ما لفظه * قال أهل اللغة رأيت رؤية
ورؤيا مثل قربة وقربى * وقال المتنبي * ورؤياك أحلى فى العيون
من الغمض * والمتنبي أمام في اللغة كما شهد له أبو علي الفارسى امام
النحو فى زمانه * ومعنى الآية وما جعلنا الرؤيا التى أريناك أى
التي شاهدتها ليلة الاسراء الافتنة أى امتحانا واختبارا للناس لانه
صلى الله عليه وسلم لما ذكر لهم قصة المعراج كذبوه وكفر به كثير
ممن قد آمن به اذ شهود الاشياء التى من وراء الاطوار البشرية فى
اليقظة رؤية بصرية هو الذى يترتب عليه ما يترتب من الافتتان دون
شهودها فى المنام فانه لا يبعد أن يقع مثل ذلك لاى انسان تحلى بحلية
الايمان وكفاك دليلا على صحة هذا التفسير ماروى البخارى فى
حديث الاسراء والمعراج عن حبر الامة عبد الله بن عباس فى
هذه الآية قال هى رؤيا عين أريها رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة
أسرى به الى بيت المقدس (ليلا) منصوب على الظرفية وهو للتأكيد
وكان بلفظ التنكير للدلالة على تقليل مدة الاسراء . والحكمة فى
كون الاسراء والمعراج ليلا أن الليل وقت الراحة واجتماع المحبين *
واغتنام المريدين * وأوان الخلوة وليكون أبلغ للمؤمن فى

الايمان بالغيب وفتنة للكافر ولأن الملك لا يدعو لحضرته ليلا إلا من هو خاص عنده . وقيل لما محا الله آية الليل وجعل آية النهار مبصرة انكسر خاطر الليل فجبره الله تعالى بالاسراء به صلى الله عليه وسلم (من المسجد) المسجد بالكسر مكان السجود وقياسه الفتح كمقعد وسمى بيت الصلاة به دون مركع لان السجود أشرف أركان الصلاة (الحرام) مأخوذ من الحرمة بمعنى الاحترام . أو من الحرمة بمعنى عدم الحل لانه لا يحل انتهاكه بالدخول فيه بلا انسك والتعرض لصيده وشجره والمسجد الحرام يطلق على جميع بقاع الحرم ليصدق بكل من القولين المحكيين وهو أنه كان تلك الليلة نائما فى المسجد أو فى بيت أم هانىء بنت أبي طالب ولا خلاف بينهما لانه على القول الثانى احتملته الملائكة من بيتها وجاءوا به الى المسجد فتولاه منهم جبريل فشق من ثغرة نحره الى أسفل بطنه فاستخرج قلبه فغسله ثلاث مرات ونزع ما كان فيه من أذى وملأه حكمة وايمانا ثم أطبقه فالتأم سريعا بغير مشقة ثم ختم بين كتفيه بخاتم النبوة . وفى رواية أنه أخرج منه علقة سوداء وقال هذا حظ الشيطان منك . والحكمة في شق صدره صلى الله عليه وسلم مع القدرة على أن يمتلىء قلبه ايمانا وحكمة من غير شق الزيادة فى قوة اليقين لانه أعطى برؤية شق بطنه وعدم تأثره بذلك ما أمن معه من جميع المخاوف العادية

فلذلك كان أشجع الناس حالا ومآلا ولذلك وصف بقوله (ما زاغ البصر وما طغى) وحكمة غسل قلبه صلى الله عليه وسلم مع أن المعلوم قطعا طهارة قلبه حسا ومعنى أن أهل الادراكات والاذواق اذا توجهوا على جواد هممهم الى حضرة القدس طهروا قبل الدخول قلب الوصول من القاذورات النفسية وكل ماوقع فى هذا الاسراء من باب الايقاظ لاهل الصفا . قال بعضهم قد سن الغسل لداخل الحرم الشريف فما بالك بداخل الحضرة المقدسة فلما كان الحرم الشريف من عالم الملك وهو ظاهر الكائنات أنيط الغسل له بظاهر البدن ولما كانت الحضرة الشريفة من عالم الملكوت وهو باطن الكائنات أنيط الغسل بباطن البدن . والحكمة فى اخراج العلقة السوداء من قلبه صلى الله عليه وسلم مع أنه معصوم من الشيطان أن تلك العلقة خلقها الله تعالى فى قلوب البشر قابلة لما يلقيه الشيطان فيها فازيلت من قلبه الشريف فلم يبق فيه مكان لان يلقى الشيطان فيه شيئا وانما خلقها الله فى هذه الذات الشريفة مع امكان عدم خلقها فيه لانها من جملة الاجزاء الانسانية فخلقت تكملة للخلق الانسانى ولا بد منها ونزعها كرامة ربانية طرأت . وقوله وملأه حكمة وايمانا أى شيئا يحصل به كمال الايمان والحكمة * فسمى ايمانا مجازا ويحتمل أن يكون على حقيقته وتجسد المعانى جائز كما جاء (إن سورة البقرة

تجئ يوم القيامة كأنها ظلة والموت يجئ في صورة كبش وكذا وزن الاعمال) وقد اسلفنا ما تستفيد منه توجيه ذلك في الفصل الاول من هذا الكتاب ثم أتي بالبراق مسرجا ملجما فركبها وسار (الى المسجد الاقصى) أى الابعد صفة للمسجد وهو بيت المقدس سمى أقصى لبعده عن المسجد الحرام وأول من بناه آدم بعد أن بنى الكعبة بأربعين سنة كما في المواهب فهو أول مسجد بني في الارض بعد الكعبة وروى أنه لما انتهى صلى الله عليه وسلم إلى المسجد الاقصى ونزل فربط جبريل البراق ودخل المصطفى صلى الله عليه وسلم المسجد فاذا النبيون والملائكة منتظرون حضوره ثم أذن جبريل وأقيمت الصلاة وقدمه جبريل للامامة وصلى بهم ركعتين . واختلف في تلك الصلاة وهل كانت من النفل المطلق أو كانت من الصلاة المفروضة عليه ففي فتاوى بعضهم ما يؤيد الثاني اعتمادا على ذكر الاذان والاقامة وهما لم يعهدا في غير الفريضه والظاهر الاول ولم يرد شئ في تعيين القراءة في تلك الصلاة والصواب أنها كانت بركوع وسجود لان النص يحمل على حقيقته الشرعية قبل اللغوية . والحكمة في كونه أسرى به راكبا مع القدرة على طي الارض له أو حمله على أجنحة الملائكة أو على الريح الاشارة إلى أن ذلك وقع له على حسب العادة في مقام خرق العادة لان العادة جرت بأن الملك اذا استدعى من

يختص به بعث اليه ما ركبه مع أعز أعوانه . والحكمة فى اسرائه
الى بيت المقدس دون العروج به من مكة أنه مهبط كثير من الانبياء
فيه نشئوا وتعبدوا ودعوا الناس الى الله تعالى فيستفاد منه التبرك
بمواضع عبادات العباد وأمكنة أهل الخير أو أنه مجمع أرواح الانبياء
فأراد الله تعالى أن يشرفهم بزيارته صلى الله عليه وسلم وصلاته
بهم اماما أو أن يخبر الناس بصفاته فيصدقوه فى الباقى أو حصول
العروج له مستويا من غير تعويج للتفاؤل بالاستقامة إذباب مصعد
الملائكة تجاه المسجد الاقصى وهو اشارة الى أنه صاحب الدين
القويم * والصراط المستقيم * أورؤية القبلة التى سيصلى اليها مدة
ليعرفها كما عرف الكعبة (الذى باركنا حوله) البركة لغة الزيادة
والنماء وعرفا ثبوت الخير الالهى فى الشىء (حوله) أى الجهات المحيطة
به ولما كان المسجد الاقصى لا يشك فى بركته وشرفه لانه هو المشرف
لما حوله نص على المتوهم ولانه اذا كان قد بارك الله تعالى فى لواحقه
وتوابعه من البقاع لاجله كان مباركا فيه بالاولى والمراد بركات الدين
والدنيا لانه موطن العبادات ومهبط الوحى والملائكة ومقر الانبياء
ومحفوف بالانهار والاشجار والثمار . روى النسائى وابن ماجه
وغيرهما ان سليمان لما بنى بيت المقدس سأل الله تعالى ثلاثا سأله ملكا
لا ينبغى لاحد من بعده فأعطاه اياه وسأله حكما يواطىء حكمه

فأعطاه إياه وسأله انه من أتى هـذا البيت يريد بيت المقدس لا يريد الا الصلاة فيه أن يخرجه من ذنوبه كيوم ولدته أمه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أرجو أن يكون قد أعطاه الثالثة . وروى أبو داود وابن ماجه عن ميمونة قالت قلت يارسول الله افتنا في بيت المقدس قال (أرض المحشر والمنشر ائتوه فصلوا فيه فان صلاة فيه كألف صلاة في غيره) قلت أرأيت ان لم استطع ان أصلي فيه قال (فتهدى له زيتا يسرج فيه فمن فعل ذلك فهو كمن أتاه) (لنريه) اللام للعاقبة لا للتعليل لان أفعاله تعالى لا تعلل اى لنريه بعينه وقلبه (من آياتنا) أى عجائب قدرتنا الارضية والسماوية كما أرينا أباه ابراهيم الخليل عليه السلام ملكوت السموات والارض ولا يقال حينئذ أن من تقتضي التبعيض فتدل على أبلغية ما رآه سيدنا ابراهيم على ما رآه سيدنا محمد لان ملكوت السموات والارض من بعض آيات الله أيضا وآيات الله أعظم من ذلك وأكبر والذى أراه محمدا صلى الله عليه وسلم من آياته وعجائبه تلك الليلة كان أفضل وأبلغ من ملكوت السموات والارض فظهر بهذا البيان فضل محمد صلى الله عليه وسلم على ابراهيم عليه السلام (انه هو السميع البصير) بأقوال النبي صلى الله عليه وسلم وأفعاله وأقوال من صدقه فيثيبه وأقوال من كذبه فيعاقبه . وقال بعض المحققين ولا بعد أن يرجع

الضمير الى العبد وهو النبي صلى الله عليه وسلم كما نقله أبو البقاء
عن بعضهم قال انه هو السميع لكلامنا البصير لذاتنا. أو نقول السميع
البصير بنا من باب بي يسمع وبي يبصر فيكون في ذكر الصفتين
أشارة الى ماوقع له صلى الله عليه وسلم في ليلته من سماع الكلام
والرؤية . فان قيل الاسراء والمعراج كانا في ليلة واحدة فهلا أخبرهم
بعروجه الى السماء مقرونا بالاسراء قلت استدرجهم الى الايمان
أولا بذكر الاسراء فلما ظهرت أمارات صدقه وصحت لهم براهين
رسالته واستأنسوا بذكر الاسراء بتلك الآية الخارقة أخبرهم بما
هو أعظم منها وهو المعراج فحدثهم النبي صلى الله عليه وسلم به وأنزله
الله تعالى في سورة والنجم

﴿ فصل في تفسير آية المعراج ﴾

قال تعالى وبقوله يهتدى المهتدون (والنجم اذا هوى) أقسم
الله بمحمد صلى الله عليه وسلم وبذا فسره جعفر الصادق وقال يعني
محمداً صلى الله عليه وسلم وهويه نزوله من السماء ليلة المعراج لانه
نجم الهدى قال ابن عباس يعني الثريا اذا غابت وسقطت والعرب
تسمى الثريا نجما قال الأمام نظام الدين الحسن النيسابورى في
تفسيره الذى لخص فيه التفسير الكبير للأمام الرازى كما صرح
بذلك أول تفسيره وزاد مافتح الله به عليه وفائدة هذا القيد ان

النجم اذا كان في وسط السماء لم يهتد به الساري لانه لا يعلم المغرب من المشرق والجنوب من الشمال فاذا مال إلى الافق عرف به هذه الجهات والميل إلي أفق المغرب أولى بالذكر لان الناظر اليه حينئذ يستدل بغروبه وافوله على انه في حيز الامكان فيتم له اهتداء الدين مع اهتداء الدنيا اه . وقيل القرآن اذا نزل على محمد صلى الله عليه وسلم نجوما آية أو بعضها أو أكثر بعد الرسالة بحسب الوقائع (ماضل صاحبكم) عن طريق الهدى والخطاب لقريش بل هو صلى الله عليه وسلم مهتد راشد دال على الله تعالى وليس كما تزعمون من نسبتكم اياه الى الضلال (وماغوى) أى وما مال ادنى ميل فانه محروس من اسباب غواية الشياطين وغيرها . والفرق بين الضلال والغى ان الضلال فعل المعاصى والغى هو الجهل عن اعتقاد فاسد (وماينطق) وهذا كالدليل على ما قبله أى كيف يضل ويغوى وهو ما ينطق (عن الهوى) بما يأتيكم به من القرآن وكل أقواله وافعاله وذلك انهم قالوا أن محمدا يقول القرآن من تلقاء نفسه (إن) أى ما (هو) أى منطوقه من القرآن وكذا كل أقواله وأفعاله وأحواله (الا وحى) من الله تعالى (يوحى) أى يجدد اليه ايحاؤه من الله تعالى وقتا بعد وقت كأن قائلا قال فبماذا ينطق أعن الدليل أو الاجتهاد فقال لا وانما ينطق عن الله بالوحى (علمه) أى علم محمداً صلى الله عليه وسلم (شديد القوى) أى جبريل عليه السلام وحكمة

كون الوحي بواسطة جبريل الرأفة بهذه الامة المحمدية فانه لو نزل
من حضرة الالوهية بلا واسطة لم يطيقوا النبي صلى الله عليه وسلم
مع ذلك التجلي . ومن قوة جبريل انه اقتلع قرى قوم لوط من الماء
الاسود الذى هو تحت الثرى وحملها على جناحه ورفعها الى السماء ثم
قلبها . وصاح صيحة بثمود فاصبحوا جاثمين . وكان هبوطه بالوحي
على الانبياء أسرع من رجعة الطرف (ذومرة) أى صاحب قوة
وشدة فى الذهاب وفائدة ذكرها مع قوله شديد القوى دفع المجاز
فانه ربما يتوهم أن يراد بالقوة الاولى أدنى مراتبها . وقال ابن عباس
المرة المنظر الحسن (فاستوى) أي استقر سيدنا جبريل (وهو) أى
سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام ليلة المعراج (بالافق الاعلى) . أقصى
الدنيا وقيل المعنى استقام جبريل وظهر فى صورته التي خلق عليها
لانه كان يأتي النبي صلى الله عليه وسلم في صورة الآدميين كما كان
يأتي الى الانبياء فسأله النبي صلى الله عليه وسلم أن يريه صورته التي جبله
الله عليها فأراه صورته مرتين باذن الله مرة فى الارض ومرة فى السماء
وهذه الرؤية من خصائصه صلى الله عليه وسلم فلم يره أحد من
الانبياء على صورته التي خلق عليها إلا نبينا صلى الله عليه وسلم فاما
التي فى الارض فرآه نبينا (وهو) أى جبريل (بالافق الاعلى) من
الارض وهو جانب المشرق عند مطلع الشمس وكان صلى الله عليه

وسلم بغار حراء بكسر الحاء هو اسم جبل بمكة قريب من منى وهو
الذى كان يخلو به عند المبعث يتعبد فيه الليالى ذوات العدد بالتفكر
فى آلاء الله تعالى وبالنظر الى الكعبة وإكرام من يمر به حتى فجأه
الحق وهو فيه وكان جبريل واعده أن يأتيه بحراء فخرج اليه صلى
الله عليه وسلم وطلع له جبريل عليه السلام من المشرق ونشر جناحا
أوجناحين من أجنحته فسد الافق إلى المغرب فخر صلى الله عليه وسلم
مغشيا عليه فنزل جبريل عليه السلام فى صورة الآدميين وضمه
الى نفسه حتى أفاق صلى الله عليه وسلم وسكن روعه وجعل يمسح
التراب عن وجهه فلما أفاق قال ياجبريل ما ظننت ان الله خلق أحدا
على مثل هذه الصورة فقال يا محمد انما نشرت جناحين من أجنحتى
وان لى ستمائة جناح سعة كل جناح ما بين المشرق والمغرب فقال صلى
الله عليه وسلم ان هذا لعظيم فقال جبريل وما أنا فى جنب خلق الله إلا
يسير ولقد خلق الله اسرافيل له ستمائة جناح كل جناح منها قدر جميع
أجنحتى وأنه يتضاءل أى يتصاغر أحيانا من مخافة الله حتى يكون
قدر الوصع وهو بفتح الواو والصاد وتسكن طائر أصغر من
العصفور وأما المرة التى فى السماء فعند سدرة المنتهى كما سيأتى ان
شاء الله تعالى

(ثم دنا) أى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الله وترق

عن مقام جبريل وفى هذا المقام قال جبريل عليه السلام لو دنوت أنملة لاحترقت . وقد سئل أبو العباس بن عطاء عن هذه الآية فقال كيف أصف لكم مقاما انقطع عنه جبريل وميكائيل واسرافيل ولم يكن الا محمد وربه عز وجل (فتدلى) أى هوى صلى الله عليه وسلم للسجود بين يدى ربه أودنا جبريل من النبي صلى الله عليه وسلم بعد استوائه بالافق الاعلى من الارض فتدلى على النبي صلى الله عليه وسلم أى زاد فى القرب (فكان قاب) أى قدر (قوسين) القوس الذى يرمى به (أو أدنى) أى أقرب من ذلك يعنى فكان محمد صلى الله عليه وسلم من ربه فى أعلى نهاية القرب على ما يليق به سبحانه وتعالى ولما كان القرآن منزلا على اسلوب العرب وكانوا يقدرون بالقوس والذراع ونحوهما أخبر الله تعالى عن كمال قرب نبيه صلى الله عليه وسلم منه بهذه العبارة الشريفة المتعارفة لهم وإن لم يكن في قرب العبد من ربه مسافة حتى تقدر بقوس أو ذراع أو الضمير راجع الى جبريل عليه السلام وأمر قربه ظاهر (فاوحى) اى الله (الى عبده) محمد صلى الله عليه وسلم بلا واسطة جبريل عليه السلام أو بواسطة جبريل بعد القصة المتقدمة معه صلى الله عليه وسلم (ما أوحى) من الاسرار سئل أبو الحسن النورى عنه فقال أوحى اليه سراً بسر من سر فى سر وفى ذلك يقول القائل

بين المحبين سر ليس يفشيه * قول ولا قلم للخلق يحكيه
سر يمازجه أنس يقابله * نور يخبره عن بعض ما فيه

وقيل أوحى اليه ان الجنة محرمة على الأنبياء حتى تدخلها أنت ومحرمة على الأمم حتى تدخلها أمتك فالحمد لله الذى جعلنا من أمته ونسأله تعالى بجاه صاحب هذا المقام الاعلى صلى الله عليه وسلم أن يميتنا على ملته ويحشرنا تحت لوائه وفى زمرته (ما كذب الفؤاد) أى ما كذب قلب النبي صلى الله عليه وسلم (ما رأى) وأبصر بعينه تلك الليلة بل صدقه وحققه أى ماقال فؤاده لما رآه بصره لم اعرفك لان ما رآه بعينه عرفه بقلبه والمرئى هو الله تعالى . وقيل جبريل عليه السلام أوجميع ما رآه تلك الليلة وسيأتى بيان الرؤية إن شاء الله تعالى فلما أخبرهم النبي صلى الله عليه وسلم كذبوه فنزل (افتمارونه على ما يرى) أى أفتجادلونه علي ما يرى وذلك أنهم جادلوه حين اسرى به وقالوا له صف لنا بيت المقدس واخبرنا عن عيرنا فى الطريق والمعنى افتجادلونه جدالا تريدون به دفعه عما رآه وعلمه مما لا تفهمونه ولا يمكنكم معرفته وتصوره فكيف يمكنكم اقامة الحجج عليه وانما المجادلة حيث يمكن تصور الامر المختلف فيه ثم الاحتجاج عليه بالنفى والاثبات فحيث لا تصور فلا مجادلة حقيقة (ولقد رآه) أى رأى محمد ربه (نزلة) أى مرة (أخرى) فتكون

الآية دالة على أنه عليه الصلاة والسلام رأى ربه مرتين . وقد روى ذلك عن ابن عباس وعلى هذا فقوله تعالى عند سدرة المنتهى حال من الضمير العائد عليه صلى الله عليه وسلم كما تقول رأيت الهلال عند الشجرة تريد أن رؤيتك للهلال وقمت وأنت عند الشجرة . أو رأى النبي صلى الله عليه وسلم جبريل فى صورته التى خلق عليها مرة أخرى عند الرجوع من الحق (عند سدرة المنتهى) هى شجرة نبق فى السماء السابعة عن يمين العرش ينتهى اليها علم الملائكة ولا يعلم أحد ماوراءها واليها ينتهى مايعرج من الارض فيقبض منها واليها ينتهى مايهبط من فوقها فيقبض منها (عندها) أى السدرة (جنة المأوى) التى وعد بها المتقون وقيل جنة يأوى اليها أرواح الشهداء عن يمين العرش (اذ يغشى) أى يعلو ويغطى (السدرة مايغشى) أى الذى يغشاها وانما لم يصرح به سبحانه وتعالى اشارة الى انه امر لا تحيط به العقول فان الذى غشيها حينئذ هو نور رب العزة فاستنارت لانه صلى لله عليه وسلم لما وصل اليها تجلى ربه لها كما تجلى للجبل فظهرت الانوار لكن السدرة كانت أقوى من الجبل واثبت فاندك الجبل ولم تتحرك السدرة وخر موسى عليه السلام صعقا ولم يتزلزل سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم * وقيل غشيها فراش من ذهب ولما ثبت صلى الله عليه وسلم فى ذلك المقام العظيم الذى تحار فيه العقول

وتزل فيه الاقدام وتميل فيه الابصار وصفه الله تعالى وصفا دالا على كمال أدبه وقوة فؤاده وبصره ووفور عقله وكثرة مراعاته لحق ربه في ذلك المقام مع ما فيه من تأكيد الرؤية وتقررها بقوله (ما زاغ البصر وماطغى) أي ما مال بصر النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك المقام وفي تلك الحضرة المقدسة الشريفة يمينا وشمالا ولا تجاوز ما رأى بل اشتغل بمطالعة ذلك النور مع أن ذلك العالم غريب عن بني آدم وفيه من العجائب ما يحير الناظر هذا بالنظر لكون الذي غشيها نور الله تعالى أما بالنظر لكونه فراشا من ذهب فالمعنى لم يلتفت الى ما غشي السدرة من فراش الذهب وغشيان الفراش في ذلك الوقت ابتلاء وامتحان * قال السهروردي اخبر تعالى بحسن أدبه في الحضرة بهذه الآية وهذه غامضة من غوامض الادب اختص بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وسبق تنزيه علمه عن الضلال وعمله عن الغواية ونطقه عن الهوى وفؤاده عن التكذيب وهنا تنزيه بصره عن الزيغ والطغيان مع تأكيد ذلك وتحقيقه بالاقسام ولطيف الاشارات والكمالات وناهيك بذلك من رب العزة جل جلاله * ولما كان انكار المشركين للاسراء بما فيه انكارا لم يقع لهم في غيره مثله زاد في التأكيد ورد عليهم فقال (لقد رأى) أي والله قد ابصر بما اهله الله له من الرسالة تلك الليلة ابصارا ساريا الى البواطن غير مقتصر

على الظواهر (من آيات) أى علامات (ربه) المحسن اليه بما لم يصل اليه أحد قبله ولا بعده (الكبرى) أى العظام فرأى عجائب الملكوت تلك الليلة فى سيره وعوده من الخوارق التى اعظمها رؤيته لربه ببصره

﴿ فصل ﴾

(فى اثبات رؤيته صلى الله عليه وسلم للذات العلية)

قد أجمع جميع السادة الصوفية أولو المكاشفات القدسية على أن سيد البشر . رأى ربه بعين البصر وهو المختار عند المحققين من الصحابة والتابعين والمتقدمين والمتأخرين . قال النووى فى شرح صحيح مسلم والحاصل أن الراجح عند أكثر العلماء أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى ربه بعينى رأسه ليلة الاسراء لحديث ابن عباس رضى الله عنهما وهذا قول أنس وعكرمة والحسن والربيع ابن سليمان وجماعة من المفسرين * والرواية المشهورة عن ابن عباس روى عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما . قال ان الله تعالى اصطفى ابراهيم بالخلة واصطفى محمداً صلى الله عليه وسلم وعليهم أجمعين بالرؤية وعن كعب أن الله تعالى قسم رؤيته وكلامه بين محمد وموسى عليهما الصلاة والسلام فكلم موسى مرتين ورأى محمد مرتين وقال القرطبى عند تفسير سورة الانعام اجتمع ابن عباس وأبى بن كعب فقال ابن عباس أما نحن بنو هاشم فنقول أن محمداً رأى ربه مرتين ثم قال

أتعجبون أن الخلة لابراهيم والكلام لموسى والرؤية لمحمد صلى الله عليه وسلم فكبر أبي بن كعب تكبيرة حتى جاوبته الجبال * وعن سيدنا الامام الشافعي رضى الله عنه وغيره أنه صلى الله عليه وسلم رأى الله تعالى في كل مرة من مرات المراجعة قال بعض أهل العلم وكان السر فى ترجيع موسى له صلى الله عليه وسلم ليلة الاسراء اقتباس الانوار من وجهه الشريف وان كان الحامل ظاهراً طلب التخفيف * قال بعض أهل الاشارات لما سأل موسى الرؤية ولم تحصل له البغية بقى الشوق يقلقه والامل يعلله فلما تحقق أن سيدنا محمدا الحبيب منح الرؤية وفتح له باب المزية أكثر السؤال ليسعد برؤية من قد رأى كما قال الوفائى

والسر فى قول موسى اذ يراجعه ... ليجتلى النور فيه حين يشهده

يبدو سناه على وجه الرسول فيا ... لله حسن رسول اذ يردده

وقال بعضهم لما جلس الحبيب فى مقام القرب دارت عليه كؤوس الحب ثم عاد وهلال (ما كذب الفؤاد ما رأى) بين عينيه وبشر (فاوحى الى عبده ما أوحى) ملء قلبه واذنيه فلما اجتاز بموسى عليه السلام قال لسان حاله لنبينا صلى الله عليه وسلم

يا وارداً من أهيل الحى يخبرنى

عن جيرتى شنف الاسماع بالخبر

ناشدتك الله ياراوى حديثهمو

حدث فقد ناب سمعى اليوم عن بصرى

فاجاب لسان حال نبينا صلى الله عليه وسلم يقول

ولقد خلوت مع الحبيب وبيننا * سر أرق من النسيم اذا سرى

وأباح طرفى نظرة أملتها * فغدوت معروفا وكنت منكراً

وقال سيدنا الامام احمد بن حنبل أنا أقول بما قاله ابن عباس رآه بعينه رآه بعينه رآه بعينه ولم يزل يكررها حتى انقطع نفس الامام احمد وكان يحلف لقد رأى محمد ربه تعالى * وقال بعضهم نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن يمينه فرأى ربه ونظر عن يساره فرأى ربه ونظر أمامه فرأى ربه ونظر فوقه فرأى ربه ونظر خلفه فرأى ربه فكره الانصراف من هذا المقام الشريف فعلم الله ذلك منه فقال يامحمد أنت رسولى الى عبادى ولو دمت على هذا المقام ما بلغت رسالتى فانزل الارض وبلغ رسالتى لعبادى وحيثما قمت الى الصلاة أعطيتك هذه المرتبة فلذلك قال وجعلت قرة عينى فى الصلاة والجهات المذكورة انما هى بالنسبة للرائى لا للمرئى (تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً) فقد علم مما تقدم أن الصحيح ثبوت الرؤية وهو ماجرى عليه ابن عباس حبر الامة وهو الذى يرجع اليه فى المعضلات وقد راجعه أبو عمرو فاخبره أنه رآه وأرسل اليه ابن عمر

يسأله هل رأى محمد صلى الله عليه وسلم ربه فقال نعم . وحكى أبو اسحاق ان مروان سأل أبا هريرة بمثل سؤال ابن عمر فقال نعم . وقال أبو الحسن على بن اسماعيل الاشعرى وجماعة من اصحابه انه صلى الله عليه وسلم رأى ربه ببصره وعيني رأسه . واثبات هذا لايؤخذ الا بالسماع من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا مما لايشك فيه ولا يقدح فى ذلك انكار السيدة عائشة رضى الله عنها للرؤية محتجة بقوله تعالى (لاتدركه الابصار) لانها لم تخبر انها سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لم أر ونحوه ولو كان معها حديث يدل على نفى الرؤية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لذكرته وانما اعتمدت على الاستنباط من الآية المذكورة . وجوابه ان الادراك هو الاحاطة والله تعالى لايحاط به واذا ورد النص بنفى الاحاطة لا يلزم منه نفى الرؤية بغير احاطة معها *وما روى عنها من انها قالت مافقدت جسده صلى الله عليه وسلم ليلة الاسراء وفى رواية مافقد جسده بالبناء للمجهول فهو حديث مكذوب عليها . وقال أمام الشافعية أبو العباس بن سريج هذا حديث لايصح وانما وضع ردا للحديث الصحيح وقول عائشة رضى الله عنها بعدم وقوع الرؤية له صلى الله عليه وسلم لايوازى ماأثبته غيرها فانها اذ ذاك لم تكن ولدت أو لم تبلغ حد التمييز على أن غيرها كابن عباس

مثبت والقاعدة ان المثبت مقدم على النافى حتى قال معمر بن راشد ماعائشة عندنا بأعلم من ابن عباس فالحق انه صلى الله عليه وسلم رأى ربه تلك الليلة بعينى رأسه وهما فى محلها فلا ينبغى العدول عن هذا

﴿ فصل في رؤية العباد لله تعالى ﴾

رؤية الله تعالى جائزة عقلا فى الدنيا والآخرة لان البارىء سبحانه وتعالى موجود وكل موجود يصح أن يرى فالبارىء عزوجل يصح أن يرى لكن لم تقع فى الدنيا لغير نبينا صلى الله عليه وسلم وواجبة شرعا فى الآخرة كما عليه اهل السنة والجماعة للكتاب والسنة والاجماع أما الكتاب فكقوله تعالى (للذين احسنوا الحسنى وزيادة) فقد روى عن أنس قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية فقال للذين أحسنوا العمل فى الدنيا الحسنى وهى الجنة * وزيادة النظر الى وجه الرحمن جل جلاله وقوله (وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظره) وقوله (لهم مايشاءون فيها ولدينا مزيد) قال على بن أبى طالب وأنس بن مالك هو النظر الى وجه الله عزوجل فهذه الآيات منادية نداء صريحا أن الله تعالى يرى عيانا بالأبصار فى الآخرة وإذا جازت فى الآخرة جازت في الدنيا لتساوى الوقتين بالنسبة الى المرئى * واما السنة فكقوله صلى الله

عليه وسلم فيما روى البخارى وغيره * (انكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر) والتشبيه للرؤية فى عدم الشك والخفاء لا للمرئى * واما الاجماع فهو ان الصحابة ومن بعدهم رضى الله عنهم كانوا مجمعين على وقوع الرؤية فى الاخرة قال سيدنا الامام مالك رضى الله عنه لما حجب اعداءه فلم يروه تجلى لاوليائه حتى رأوه ولو لم ير المؤمنون ربهم يوم القيامة لم يعير الكافرون بالحجاب قال تعالى (كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) وقال الامام الشافعى رضى الله عنه لما حجب قوما بالسخط دل على ان قوما يرونه بالرضى ثم قال اما والله لولم يوقن محمد بن إدريس بانه يرى ربه فى الميعاد لما عبده فى الدنيا وهذا من كلام المتدللين نفعنا الله بهم والا فالله يستحق العبادة لذاته . والرؤية متفاوتة على حسب احوال العباد فالرؤية العامة تكون كل جمعة وبعض الخواص يراه كل يوم بكرة وعشية وبعضهم لا يزال مستمرا فى الشهود قال أبو يزيد البسطامى ان لله خواص من عباده لو حجبهم فى الجنة عن رؤيته ساعة لاستغاثوا من الجنة ونعيمها كما يستغيث أهل النار من النار وعذابها ولكن يرونه منزها عن المقابلة والجهة والمكان لان الرؤية قوة يجعلها الله تعالى فى خلقه لا يشترط فيها اتصال الأشعة ولا مقابلة المرئى وان جرت العادة فى رؤية بعضنا بعضا بوجود ذلك على جهة الاتفاق

لاعلى سبيل الاشتراط ولا يلزم من رؤيته اثبات جهة بل يراه المؤمنون لا في جهة كما يعلمون أنه لافي جهة * والرؤية ايضا نوع كشف وعلم للمدرك بالمرئي يخلقه الله تعالى عند مقابلة الحاسة له بالعادة فجائز أن يخلق الله تعالى هذا القدر بعينه من الادراك بدون أن ينقص منه شيء من غير مقابلة لهذه الحاسة أصلا وكيف لا وهو واقع كما روى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال (سووا صفوفكم فاني أراكم من وراء ظهري) وكما يرانا الله تعالى من غير مقابلة ولا جهة بالاتفاق فكذلك نراه فالرؤية نسبة خاصة بين طرفي راء ومرئي فكما لم تقتض عقلا كون احدهما في جهة لم تقتض كون الآخر في جهة وكما أن العلم إدراك وهم يعلمونه لا في مكان ولا في جهة فكذلك الرؤية نوع من الادراك فهم يرونه كذلك والادراك معنى يخلقه الله تعالى في المدرك فان خلقه في جزء العين سمي إبصارا أو في جزء القلب سمي علما أو في جزء الاذن سمي سمعا أو في اللسان سمي ذوقا أو في الأنف سمي شما أو في جميع الجسد سمي لمسا واختصاص خلقه بهذه المحال إنما هو بمحض اختياره تعالى فلو اختار خلافه لكان كما اختاره تعالى واختصاص بعضها بكون المدرك في جهة وغير قريب جدا ولا بعيد جدا انما هو بمحض اختياره تعالى ولو شاء لجعله يتعلق بالقريب جدا والبعيد جدا وبما

ليس فى جهة كتعلق العلم بها . ومن قال أن الحق تعالى يدرك عقلا ولا يدرك بصرا فجاهـل لا علم له بحكم العـقل ولا بحكم البصر ولا بالحقائق على ما هى عليه كالمعتزلة ومن تبعهم . ومن أقوى دليل على جهلهم سؤال موسى عليه السـلام اياها بقوله (رب أرنى أنظر اليـك) فانه يسـتحيل أن يخفى على نبى من أنبياء الله تعالى انتهى منصبه الى أن يكلمه الله شـفاها أن يجهل من صفات ذاته تعالى ما عرفه المعتزلة وهذا معلوم بالضرورة لان المقصود من بعثة الانبياء عليهم الصـلاة والسلام الدعوة الى العقائد الحقة و الاعمال الصالحة والجهل بكونه ممتنع الرؤية عند الخصم يوجب التكفير أو التضليل إذ هو جهل بصفة ذاته لان استحالتها عندهم لذاته لانه ليس بجهة فـكيف لم يعرف سيدنا موسى عليه السلام أنه ليس بجهة أو كيف عرف أنه ليس بجهة ولم يعرف أن رؤية ما ليس بجهة محال فليت شعرى ماذا يضمر الخصم ويقدره من ذهول موسى عليه السـلام أيقدره معتقدا أنه جسم فى جهة ذولون له وهذا اتهام واتهام الانبياء عليهم الصلاة والسلام كفر صريح فانه تكفير للنبى عليه السلام فان القائل بأن الله تعالى جسم لا فرق بينه وبين عابد الوثن أو يقول علم استحالة كونه بجهة ولـكنه لم يعلم أن ما ليس بجهة فلا يرى وهذا أقبح تجهيل للنبى عليه السلام لان الخصم يعتقد أن ذلك من الجليات

لامن النظريات فانت الآن أيها المسترشد مخير بين أن تميل الى تجهيل النبي عليه الصلاة والسلام أو الى تجهيل المعتزلة فاختر لنفسك ما هو أليق بك والسلام . وأما قولهم أن سؤال موسى عليه السلام الرؤية لاجل جهلة قومه فمردود بان النبي صلى الله عليه وسلم لا يجوز له تأخير رد الجاهل فى مثل هذا اذ لو كانت الرؤية ممتنعة لوجب عليه أن يجهلهم ويزيل شبهتهم كما فعل بهم حين قالوا (اجعل لنا الها كما لهم آلهة) فقال (انكم قوم تجهلون) وقد حكاها الله تعالى عنه ولم يحك عنه حين سألوه الرؤية أنه منعهم مع أن سياق الآية والوضع العربى فى قوله (أرنى) أى أنا (انظر) أنا (ولن ترانى) أنت (ولكن أنظر) أنت يأبى ذلك كله من كون السؤال لغيره ومن أقوى دليل على جواز رؤيته قوله تعالى (لن ترانى) لانها لو كانت ممتنعة لقال لن تصح رؤيتى أولا أرى ألا ترى أن من كان فى منديله تراب مثلا فظنه انسان طعاما فقال اعطنى هذا لآكله كان جوابه الصحيح هذا لا يؤكل وان كان طعاما فجوابه الصحيح أنك لا تأكله . وقولهم إن كلمة لن تفيد التأكيد فيكون نصا فى أن موسى عليه السلام لا يراه فى الدنيا والآخرة ممنوع لانها لو كانت للتأبيد لزم التناقض بذكر اليوم فى قوله تعالى (فلن أكلم اليوم انسيا) ولزم التكرار بذكر أبدا فى قوله تعالى فى شأن اليهود (ولن

يتمنوه أبد * ولن ندخلها أبدا) لانها لو كانت للتأبيد لما صح أن
يقول بعده أبدا لانه معلوم من لن والقرآن فى أعلى طبقات البلاغة
فلا يصح أن يؤتى فيه بكلمة زائدة بلا فائدة . والقول بأنه للتأكيد
صرف للكلام عن أصله بلا دليل . ثم استدرك ليبين أن تأخير الرؤية
لا لامتناعها بل لانه لا يطيقها فقال (ولكن انظر الى الجبل) أى
الذى هو أقوى منك اذا تجليت له ورفعت الحجاب عنه (فان استقر
مكانه) ولم يندك فى الارض بأن يجعل الله له قوة على ذلك (فسوف
ترانى) وأيضا فى تعليق الرؤية بالاستقرار دليل على جوازها لان
الله تعالى علقها على جائز عقلا وهو استقرار الجبل والمعلق على الجائز
جائز لان معنى التعليق الاخبار بأن المعلق يقع على تقدير المعلق عليه
والمحال لا يقع على شئ من التقادير فلو لم تكن الرؤية جائزة لزم
الخلف فى خبره تعالى وهو محال وأما احتجاجهم بقوله تعالى (لا
تدركه الابصار) فهو مردود بان النفى فى الآية ليس عاما فالسلب
فيها من سلب العموم كما هو معلوم فى فن المعقول حيث وقع فيها
المسند اليه وهو الابصار جمعا محلى بالالف واللام فهو من صيغ العام
والسلب اذا دخل على عام أفاد سلب عمومه لا عموم السلب لكل
فرد من أفراده وهذا مطرد فى السالبة . وقد يكون فى القضية
الموجبة أيضا ألا ترى قوله عليه الصلاة والسلام (الناس نيام فاذا

ماتوا انتبهوا) ولا شك فى شمول لفظ الناس للانبياء عليهم الصلاة والسلام مع أنهم غير مرادين لانهم انبه الناس وأيقظهم . ويؤخذ من هذا الحديث أنهم اذا ماتوا عن حظوظهم الفانيــة واختيار اتهم انكشفت لهم الاستار عن عالم الانوار . بل هذه الآية دليـل لنا بطريق الاشعار حيث نفى الحق تعالى ادراك عموم الابصار . فاقتضى تخصيصه فى الدنيا بحبيبه المختار . وفى الآخرة بالمؤمنين الاخيار . ولئن سلم عموم النفى فهو مردود أيضا بان الادراك ليس مطلق الرؤية بل معنى لا تدركه الابصار لا تحيط كما أن العقول لا تحيط به . فالنصوص الدالة على نفى الرؤية مقيدة بنفى الاحاطة ولا يلزم منها نفى الرؤية بغير إحاطة معها * فاذا علمت ذلك علمت أن الله تعالى يرى من غير الـكيفيات المعتبرة فى رؤية الاجسام ومن غير احاطة بل يحار العبد فى العظمة والجلال حتى لا يعرف اسمه ولا يشعر بمن حوله من الخلائق فان العقل يعجز هنالك عن الفهم ويتلاشى الـكل فى جنب عظمته تعالى لان رؤية الحق سبحانه وتعالى تسكر عقول الرائين من تمام لذتها اذا قنا الله حلاوتها وكل من آمن بها

﴿ فصل فى الرؤية القلبية والمنامية للذات العلية والحضرة النبوية ﴾

اعلم ان رؤيته تعالى هى المقصودة بالذات للمحبين . فاشتياقهم للجنة إنما هو لكونها محلالها لا لذاتها وهى التى تقطعت لاجلها

أكبادهم . واحترقت شوقا اليها قلوبهم . فظمؤهم الى لذيذ لقائه لايخفى . ولهيب قلوبهم الى مشاهدة جماله لايطفى . وهم الذين قال قائلهم * ليس قصدى من الجنان نعيما * غيرانى أريدها لاراك * قالت رابعة العدوية مع انها امرأة وعزتك ما عبدتك خوفا من نارك ولارغبة فى جنتك بل كرامة لوجهك الكريم ومحبة فيك. ومقالاتهم فى ذلك كثيرة . ومن حكاياتهم أن رجلا من أهل البصرة بكى لشوقه حتى ذهبت عيناه ثم قال الهى الى متى لاألقاك فبعزتك لو كانت بينى وبينك نار تلتهب مارجعت عنك بعونك وتوفيقك حتى أصل اليك ولاارضي منك بدونك ومنها ماقيل ان شعيبا عليه السلام بكى مائة عام حتى ذهب بصره فرده الله عليه فبكى مائة أخرى حتى ذهب بصره فأوحى الله تعالى اليه ياشعيب ماهذا البكاء ان كان خوفا من نارى فقد امنتك منها وان كان شوقا الى جنتى فقد ابحتك اياها فقال وعزتك وجلالك يارب ليس بكائى شوقا الى جنتك ولا خوفا من نارك ولكن عقد حبك فى قلبي عقدة لايحلها الا النظر الى وجهك الكريم فقال الله تعالى اذا كان بكاؤك لذلك فلابيحنك النظر الى وجهى. والسبب فى هذا الشوق ان الله خلق الارواح قبل الاجسام بألفى عام فكانت حينئذ فى جوار الحق وقربه فتستفيض من حضرته بلاواسطة فلما فصلها الحق من اصلها وتغربت

عن وطنها تمشقت الى اصلها وتعطشت الى سيدها ولما علم سبحانه
وتعالى هذه الحال التى تكون عليها اودع فى القلوب استعدادا
لرؤية جماله وجعل القلب كمرآة لها وجهان ظاهرها كثيف مظلم
وباطنها لطيف مضىء فلو قابلها من الكائنات ماقابلها أريته ممثلا فيها
على ما هو عليه مع صغر جرمها حتى لو كان المرئى جملا بل جبلا أريته
بكل اجزائه فيها من غير حلول فيها ولا اتصال بها ولا تحيز فى شىء
منها فكذلك الحق سبحانه وتعالى اذا تجلى على قلب عبده المؤمن
يشاهده بعين قلبه ويجتليه ببصر بصيرته من غير حلول ولا اتصال
ولا انفصال بل ظهوره تعالى فى مرآة القلب أولى فانه اذا لم تضق
مرآة القلب عن الاجرام كلها مع كونها من المقدرات والمكيفات
فكيف تضيق عمن لا كيف ولا مقدار له . واعلم ان وسيلة القرب
الى الله والظفر بسعادة مرآة القلب بتجليه فقد حسن الاشياء من
القلب وهو والضمير اليه تعالى فهذا طهور للقلب عما سوى الله
تعالى واذا تطهر عما سواه رآه حاضراً معه فعرف حينئذ قربه
الحقيقى المنزه عن الأينية والكيفية بل عرف أقربيته معرفة تزرى
برؤية البصر لانه ليس بين العبد وربه الاحجاب نفسه وعوارضها
فاذا فنى عن نفسه وعن عوارضها بان له ما ذكرناه اذكل ذرة من
بدن الانسان بل والعالم بأسره قد تعلق العلم بها كشفا والارادة تخصيصا

والقدرة إيجاداً وابقاء والصفات لاتفارق الموصوف بل صفاته قائمة
بذاته فالموصوف تعالى اذاً مع الاشياء كلها معية ذاتية منزهة عما
لايليق به سبحانه من لوازم الامكان والحدوث ولهذا السر الغامض
أشار تعالى بقوله (ونحن أقرب اليه من حبل الوريد) وقوله
(ونحن اقرب اليه منكم ولكن لاتبصرون) فانت اذا أخذت
بالوسيلة التى ذكرناها كنت من العارفين الذين يرون ربهم فى الدنيا
بعين الايقان والبصائر ويرونه فى الاخرى بالابصار رأى العين فهو
قريب منهم فى الدارين وليس قربه فى الاخرى مخالفاً لقربه فى الدنيا
الا بمزيد اللطف والعطف والا فقد ارتفع هنا وهناك قرب المسافة
ولم يكن بينه وبين مخلوق إضافة لافى الدنيا ولافى الآخرة . وكان
سيدى ابن أبى جمرة يقول اذا كان المؤمن اذا مات يرى الله تعالى
فهؤلاء اى أهل الله تعالى يموت الواحد منهم فى كل يوم سبعين مرة
فكيف لايرونه فى الدنيا ومراده الرؤية القلبية التى بعين البصيرة
لابالبصر وقال ابن الفارض رضى الله عنه

أتلنا مع الاحباب رؤيتك التى اليها قلوب العارفين تسارع

(ومنه قوله)

وأباح طرفى نظرة أملتها فغدوت معروفا وكنت منكرا

عنى بالطرف فيه (القلب) وسماه طرفاً تجوزاً . وأما قوله

واذا سألتك أن أراك حقيقة   فاسمح ولاتجعل جوابي لن ترى

فمايفيد عدم حصولها له . وأجيب بأن البيت الاول كان متأخراً عن هذا البيت فلعله أدرك ماسأل عنه أولا وقوله (ولاتجعل جوابي لن ترى) يفيد علو مقامه عن موسى فالجواب انه لا يقتضي ذلك لانه سأل الرؤية القلبية . ومنه قول علي كرم الله وجهه

نظرت ربي بعين قلبي   فقلت لاشك انت انت

(ومنه   كبر العيان على حتى انه   صار اليقين من العيان توهما

وعلامة صدق من يرى الله تعالى بقلبه في هذه الدار أن يراه من سائر الجهات الست من غير ترجيح لاحد الجهات علي بعضها . وقال الشيخ عبد القادر الجيلي لم يبلغنا وقوع رؤية الله عزوجل يقظة في الدنيا لاحد غير رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل له ان فلانا يزعم انه يرى الله تعالى بعين رأسه فارسل الشيخ خلفه وقال له أحق مايقول هؤلاء عنك فقال نعم فانتهره الشيخ وزجره عن هذا القول واخذ عليه العهد أن لايعود اليه فقيل للشيخ أمحق هذا الرجل أم مبطل فقال هو محق ملبس عليه وذلك انه شهد ببصيرته نور ذلك الجمال الرفيع ثم خرق من بصيرته الى بصره منفذ فرأى ببصره بصيرته حال اتصال شعاعها بنور شهوده فظن أن بصره الظاهر رأى ما شاهدته بصيرته وانما رأى بصره حقيقة بصيرته فقط من حيث

لا يدرى قال تعالى (مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان) وكان جمع من المشايخ حاضرين فأعجبهم هـذا الجواب (وأما رؤيته تعالى فى المنام فقد أجمع علماء التعبير على جوازها قال أهل العلم خير الرؤيا أن يرى العبد ربه فى منامه أو يرى نبيه أو يرى أبويه ان كانا مسلمين) وقال أبو هريرة سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (لم يبق من النبوة الا المبشرات) قالوا وما المبشرات قال (الرؤيا الصالحة) رواه البخارى وقد رآه جماعة من العلماء الاعلام فنقل أن الامام أبا حنيفة قال رأيت ربى في المنام تسعا وتسعين مرة ثم رآه أخرى تمام المائة وقصتها طويلة لا يسعها هـذا المقام. وروى عن الامام احمد أنه قال * رأيت ربى فى المنام تسعا وتسعين مرة فاقسمت بعزته أن رأيته تمام المائة لاسألنه فرأيته فقلت يا رب بماذا يتقرب اليك المتقربون قال بتلاوة كلامى فقلت يا رب بفهم أو بغير فهم قال يا احمد بفهم أو بغير فهم. وروى عن احمد بن حضرويه أنه قال رأيت رب العزة فى المنام فقال يا أحمد كل الناس يطلبون منى الا أبا يزيد فانه يطلبنى. ولا ينبغى لمسلم أن يتوقف في رؤية الله تعالى فى المنام لانه لا شئ في الاكوان أوسع من عالم الخيال وذلك أنه يحكم بحقيقته على كل شئ وعلى ما ليس بشئ ويصور لك العدم المحض والمحال والواجب فضلا عن الممكن ويجعل الوجود عدما والعدم

وجوداً ويريك العلم لبناً والاسلام قبة والثبات فى الدين قيداً والدين قميصاً لما روى أبو أمامة ابن سهل أنه سمع أباسعيد الخدرى يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (بينما أنا نائم رأيت الناس يعرضون على وعليهم قمص منها ما يبلغ الثدى ومنها ما يبلغ دون ذلك وعرض على عمر بن الخطاب وعليه قميص يجره قالوا ما أولت يا رسول الله قال (الدين) رواه البخارى فالدين لا شكل له ولا صورة ولكن جعل القميص له مثالا فعلم أنه لا يلزم من كون الشئ لا صورة له أن لا يرى فى صورة ألا ترى أن كثيراً من الاشياء التى لا اشخاص لها ولا صورة ترى فى المنام بامثلة تناسبها كما يمثل القرآن باللؤلؤ والهدى بالنور والضلالة بالعمى ومن قال بمنع رؤيته تعالى فى المنام لكونه اذا رآه النائم يكون مصوراً لا محالة ولا صورة للرب ولا مثل ولا مثل لظنه أن المثل بفتحتين كالمثل بكسر الميم وسكون المثلثة فقد اخطأ فان المثل بالسكون يستدعى المساواة فى جميع الصفات كالسوادين والجوهرين ويقوم كل واحد منهما مقام الآخر من جميع الوجوه فى كل حال بخلاف المثل بفتحتين فانه لا يشترط فيه المساواة من كل وجه وانما يستعمل فيما يشاركه لادنى وصف قال تعالى (انما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء) والحياة لا صورة لها ولا شكل والماء ذو شكل وصورة وكذلك قوله تعالى (مثل نوره

كمشكاة فيها مصباح) وغير ذلك فعلم أنه لا مثل لله ولكن (له المثل الاعلى فى السموات والارض) فمن رآه على وجه لا يستحيل عليه تعالى فهو هو تعالى والا بأن كان بصورة رجل مثلا فان أمر الرائى بما يخالف الشرع كأن قال له أسقطت عنك التكاليف فهو الشيطان وان لم يأمر بما يخالف الشرع فهو رسول من عند الله ويقال حينئذ أنه رأى ربه فى الجملة لحكمة تظهر عند المعبرين بان يقولوا تدل على كذا وكذا . وقيل هو الرب أيضاً وكونه جسما انما هو باعتبار ذهن الرائى وأما فى الحقيقة فليس تعالى كذلك لان النائم يرى فى النوم تصور المعانى فى الصور المحسوسة وتجسد ما ليس من شأنه أن يكون جسداً فما ثم أوسع من الخيال اذا علمت ذلك تعلم أن الشيطان قد يتمثل بالمولى جل جلاله وأما النبى صلى الله عليه وسلم فلا يتمثل به الشيطان . والفرق أن الله ليس كمثله شئ فتمثل الشيطان به لا يضر فى العقيدة وأما النبى صلى الله عليه وسلم فانه بشر فلو تمثل به الشيطان لأفسد الدين . ومن رآه فى نومه صلى الله عليه وسلم فقد رآه حقيقة كما روى البخارى عن أنس رضى الله عنه قال قال صلى الله عليه وسلم (من رآنى فى المنام فقد رآنى فان الشيطان لا يتمثل بى) ورؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة) ومعنى قوله فقد رآنى أى رأى حقيقة جسمى

وروحى وصورتى مماًوذلك لان الانبياء عليهم الصلاة والسلام لا تبلى أجسادهم ولا تتغير صورهم وهم فى قبورهم يصلون كما جاءت به الاحاديث . ولو رئى على غير صورته الاصلية فانما ذلك يختلف باختلاف أحوال الرائين له صلى الله عليه وسلم بحسب استقامتهم على شريعته . فعلم أن الرائى لرسول الله صلى الله عليه وسلم على تلك الصور والاشكال المختلفة راءله حقيقة فان تلك الصور كلها أمثلة خيالية والمرئى بواسطتها هو النبى صلى الله عليه وسلم وهذا كما يقول الانسان رأيت وجهى فى الماء ومعلوم قطعا أن وجهه ليس منتقلا الى الماء حتى رآه فيه وانما معناه رأيت حقيقة وجهى بواسطة مثاله فى الماء فيكون المثال واسطة لا يلتفت اليه اذ لا حقيقة له حتى يكون مرئيا لذاته وانما هو هيئة يريك الله تعالى وجهك بواسطتها وذلك من عجائب قدرته التى تكل الافهام عن ادراكها وأكثر ما تقع رؤية النبى صلى الله عليه وسلم يقظة بالقلب ثم تترقى الى رؤية البصر ونقل عن الحافظ السيوطى أنه كان يقول رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى اليقظة بضعاً وسبعين مرة فقلت له فى مرة منها هل أنا من أهل الجنة يا رسول الله فقال نعم فقلت من غير عذاب يسبق فقال لك ذلك . وليست رؤية النبى صلى الله عليه وسلم كرؤية الناس بعضهم بعضا وانما هى جمعية خيالية برزخية وأمر وجدانى لا

يدرك حقيقته إلا من باشره

﴿ فصل في الشفاعة ﴾

اعلم ان شفاعة نبينا صلى الله عليه وسلم يوم القيامة ثابتة بالكتاب والسنة واجماع الامة من سلف وخلف ولاينكرها الا شقي غبي مخالف للكتاب والسنة والاجماع * ولا يشك فيها غير الفرق الضالة قال تعالى وهو أصدق القائلين (عسى أن يبعثك ربك مقاما محموداً) اتفق المفسرون على أن كلمة عسى من الله واجب قال اهل المعاني لان لفظة عسى تفيد الاطماع ومن أطمع انساناً في شيء ثم حرمه كان عاراً. والله أكرم من أن يطمع أحدنا في شيء ثم لا يعطيه ذلك وأما المقام المحمود فقال الواحدي أجمع المفسرون على أنه مقام الشفاعة * وقد وردت الاخبار الصحيحة في تقرير هذا المعنى كما في البخاري من حديث ابن عمر قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المقام المحمود فقال هو الشفاعة * وفيه أيضاً عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ان الناس يصيرون يوم القيامة جُثًى أي جماعات كل أمة تتبع نبيها يقولون يافلان اشفع لنا حتى تنتهي الشفاعة الى فذلك المقام المحمود) وقال تعالى (فما تنفعهم شفاعة الشافعين) هذه الآية تدل على صحة الشفاعة للمذنبين من المؤمنين بمفهومها لان تخصيص هؤلاء بأنهم لا تنفعهم شفاعة الشافعين يدل على أن غيرهم

تنفعهم شفاعة الشافعين إذ لو لم تكن ثم شفاعة أصلا لم يبق لنفيها عن خصوص الكفار فى مقام تقبيح حالهم معنى . وقال تعالى (من ذا الذى يشفع عنده الا باذنه) أى الا بامره وارادته وذلك أن المشركين زعموا ان الاصنام تشفع لهم بغير اذنه وممن نص على ذلك الزعم ابن القيم فى مفتاح دار السعاده وهذه هى الشفاعة الشركية التى يعتقدها المشركون فاخبر الله أن لا شفاعة لاحد عنده الا ما استثناه بقوله الا باذنه وقال تعالى . (ولا يشفعون الا لمن ارتضى) أى لمن هو مرضى عند الله وهو من قال لا إله الا الله ولو كان فاسقا لانه مرضى من جهة الايمان والعمل الصالح وان كان مبغوضا من جهة الذنوب والعصيان بخلاف الكافر فانه ليس بمرضى مطلقا لعدم الاساس الذى تبنى عليه الحسنات وهو الايمان واما قوله تعالى (واتقوا يوما لا تجزى نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها شفاعة) فنقول ان الآية مخصوصة بالكفار ويؤيد هذا أن سياق الخطاب معهم قال تعالى حاكيا عنهم (فما لنا من شافعين) أى كالمؤمنين يشفع لهم الملائكة والمؤمنون والآية نزلت رداً لما كانت اليهود تزعم أن آباءهم تشفع لهم . وأما قوله تعالى (فما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع) فنقول المراد بالظالمين الكفار فان الظالم على الاطلاق هو الكافر قال تعالى (أن الشرك لظلم عظيم) وأما قوله تعالى (انك من تدخل النار فقد أخزيته) فنقول الآية

خاصة بالكفار بدليل قوله فى آخر الآية (وما للظالمين من أنصار) وان
سلم أن الآية فى عصاة الموحدين فالمراد باخزائهم اخجالهم من
خزى اذا استحى ونفى النصرة لايستلزم نفى الشفاعة لانها طلب
مع خضوع والنصرة تبنى على المدافعه والممانعة والاستيلاء فيجب
على كل مسلم أن يعتقد ويقر بشفاعته صلى الله عليه وسلم لان من
أنكرها يخشى ألا ينالها ولا تناله (جزاء وفاقا) لما أخرج سعيد بن
منصور وهناد عن أنس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم (من كذب بالشفاعة فلا نصيب له فيها ومن كذب بالحوض
فليس له فيه نصيب) واخرج البخارى عن عمر بن الخطاب رضى الله
عنه أنه خطب فقال (أنه سيكون فى هذه الامة قوم يكذبون
بالرجم وبالدجال ويكذبون بطلوع الشمس من مغربها ويكذبون
بعذاب القبر ويكذبون بالشفاعة ويكذبون بقوم يخرجون من
النار بعد ما امتحشوا) أى احترقوا وأخرج البيهقى عن أنس
رضى الله عنه أنه قيل له إن قوما يكذبون بالشفاعة قال لاتجالسوا
أولئك * وعن شبيب بن أبى فضالة المكى قال ذكروا عند عمران
ابن حصين الشفاعة فقال رجل يا أبا نجيد إنكم لتحدثوننا أحاديث لم
نجدلها أصلا فى القرآن فغضب عمران وقال للرجل أقرأت القرآن قال
نعم قال فهل وجدت صلاة العشاء أربعا وصلاة المغرب ثلاثا والغداة

ركعتين والظهر أربعاً والعصر أربعاً قال لا قال فممن أخذتم هذا ألستم عنا أخذتموه وأخذنا عن نبي الله صلى الله عليه وسلم وفي كل أربعين درهماً درهم وفي كل كذا شاة وفي كل كذا بعير أوجدتم في القرآن هذا قال لا قال ووجدتم في القرآن (وليطوفوا بالبيت العتيق) أوجدتم طوفوا سبعاً واركعوا ركعتين خلف المقام أوجدتم هذا في القرآن عمن أخذتموه ألستم أخذتموه عنا وأخذناه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا بلى قال فان الله تعالى قال في كتابه (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) وانا قد أخذنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أشياء لم يكن لكم بها علم . وأخرج البزار والطبراني في الأوسط وأبو نعيم بسند حسن عن علي بن أبي طالب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال(أشفع لامتي حتى يناديني ربي تبارك وتعالى أرضيت يا محمد فأقول إي رب رضيت) وأخرج الامام أحمد والطبراني والبيهقي بسند صحيح عن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (خيرت بين الشفاعة وبين ان يدخل نصف أمتي الجنة فاخترت الشفاعة لأنها أعم وأكفى أترونها للمتقين ولكنها للمذنبين الخاطئين الملوثين) واخرج الامام احمد والبيهقي والطبراني في الاوسط عن بريدة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (اني اشفع يوم القيامة لأكثر مما

على وجه الارض من شجر ومدر) وأخرج أبو داود والترمذى والحاكم والبيهق وصححوه عن أنس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (شفاعتى لاهل الكبائر من أمتى) وأخرج الطبرانى وأبو نعيم عن أبى امامة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال (نعم الرجل أنا لشرار امتى) قيل كيف يارسول الله قال (أما شرار امتى فيدخلهم الله الجنة بشفاعتى وأما خيارهم فيدخلهم الجنة بأعمالهم) واعلم ان الرسل والانبياء والملائكة والصحابة والشهداء والصديقين والاولياء والعلماء والمؤذنين على اختلاف مراتبهم ومقاماتهم عند ربهم يشفعون قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (أنا اول شافع واول مشفع) واخرج الترمذى والبيهق عن انس رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (أنا اول الناس خروجا اذا بعثوا وخطيبهم اذا انصتوا وقائدهم اذا وفدوا وشافعهم اذا حبسوا ومبشرهم اذا أيسوا لواء الكرم بيدى ومفاتيح الجنة يومئذ بيدى وانا اكرم ولد آدم يومئذ على ربى ولا فخر يطوف على الف خادم كأنهم اللؤلؤ المكنون) واخرج بن ماجه والبيهق عن عثمان بن عفان رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال (يشفع يوم القيامة الانبياء ثم العلماء ثم الشهداء) واخرجه البزار وفى آخره ثم المؤذنون . واخرج الطبرانى فى الكبير والبيهق

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ليدخلن الجنة قوم من المسلمين قد عذبوا في النار برحمة الله وشفاعة الشافعين) واخرج الطبراني في الاوسط عن انس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (يشفع الله آدم يوم القيامة من جميع ذريته في مائة الف الف وعشرة آلاف الف) واخرج الديلمي من حديث ابن عمر رضى الله عنهما مرفوعا (يقال للعالم اشفع في تلامذتك ولو بلغ عددهم نجوم السماء) واخرج ابو داود وابن حبان عن ابي الدرداء قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (الشهيد يشفع في سبعين من اهل بيته) واخرج الترمذى والحاكم وصححاه والبيهقي عن عبد الله بن ابي الجدعاء قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (ليدخلن الجنة بشفاعة رجل من امتي اكثر من بني تميم قالوا سواك يارسول الله قال سواى) قال الفريابي يقال انه عثمان بن عفان رضي الله عنه . واخرج الترمذى وحسنه والبيهقي عن ابي سعيد الخدرى رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ان من أمتي لرجالا يشفع الرجل منهم في الفئام من الناس فيدخلون الجنة بشفاعته ويشفع الرجل منهم للقبيلة فيدخلون الجنة بشفاعته ويشفع الرجل منهم للرجل وأهل بيته فيدخلون الجنة بشفاعته) والفئام ككتاب الجماعة الكثيرة والحاصل

ان للناس شفاعات بقدر اعمالهم وعلو مراتبهم . والاسلام يشفع لاهله . والقرآن يشفع لاهله والحجر الاسود يشفع لمستلمه . وكذا الصدقات وسائر أنواع الطاعات تجسم يوم القيامة وتشفع لصاحبها . واعلم أن للنبي صلى الله عليه وسلم شفاعات (الاولى) الشفاعة العظمى التي يشفع فيها لاهل الموقف حتّى يقضى بينهم لما روى البخاري ومسلم وغيرهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال (أنا سيد الناس يوم القيامة وهل تدرون مم ذلك يجمع الله الاولين والآخرين في صعيد واحد يُسْمِعُهم الداعي ويَنفُذُهم البصر وتدنو منهم الشمس فيبلغ الناس من الغم والكرب مالا يطيقون ولا يتحملون فيقول الناس ألا ترون إلى ماأنتم فيه الى ماقد بلغكم ألا تنظرون الى من يشفع لكم الى ربكم فيقول بعض الناس لبعض أبوكم آدم فيأتونه فيقولون يا آدم أنت أبو البشر خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأمر الملائكة فسجدوا لك وأسكنك الجنة ألا تشفع لنا الى ربك ألا ترى مانحن فيه وما بلغنا فيقول ان ربي غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله وانه نهاني عن الشجرة فعصيت نفسي نفسي اذهبوا الى غيري اذهبوا الى نوح فيحيلهم على ابراهيم وابراهيم على موسى وموسى على عيسى وعيسى يقول اذهبوا الى غيري اذهبوا

الى محمد فيأتونى فيقولون يامحمد أنت رسول الله وخاتم الانبياء وقد غفر الله لك ماتقدم من ذنبك وما تأخر اشفع لنا الى ربك الاترى الى ما نحن فيه فأنطلق فآتى تحت العرش فأقع ساجدا لربى ثم يفتح الله على من محامده وحسن الثناء عليه شيئا لم يفتحه على أحد قبلي ثم يقال يامحمد ارفع رأسك سل تعطه واشفع تشفع فأرفع رأسى فأقول أمتى يارب فيقال يا محمد أدخل من أمتك من لا حساب عليه من الباب الايمن من أبواب الجنة وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الابواب ثم قال والذى نفسى بيده إن مابين المصراعين من مصاريع الجنة كما بين مكة وهجر أوكما بين مكة وبصرى) وهذه الشفاعة العامة التى خص بها نبينا صلى الله عليه وسلم من بين سائر الانبياء (الثانية) الشفاعة فى ادخال قوم الجنة بغير حساب قال القاضى عياض والنووى وهى مختصة به صلى الله عليه وسلم روى البخارى ومسلم من طرق عن النبى صلى الله عليه وسلم (يدخل من أمتى الجنة سبعون ألفا بغير حساب فقال رجل يارسول الله ادع الله أن يجعلنى منهم فقال اللهم اجعله منهم) والرجل عكاشة (الثالثة) الشفاعة لقوم استوجبوا النار فيشفع فيهم نبينا صلى الله عليه وسلم قال (خيرت بين الشفاعة وبين أن يدخل نصف أمتى الجنة فاخترت الشفاعة لانها أعم وأكثر ترونها للمؤمنين المتقين

لا ولكنها للمذنبين الخاطئين الملوثين) رواه ابن ماجه (الرابعة) الشفاعة فيمن دخل النار من المذنبين اخرج البخارى عن عمران ابن حصين رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال (يخرج قوم من النار بشفاعة محمد صلى الله عليه وسلم ويدخلون الجنة ويسمون الجهنميين) واخرج الشيخان عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال سمعت رسول صلى الله عليه وسلم يقول (إن الله يخرج قوما من النار بالشفاعة فيدخلهم الجنة) (الخامسة) الشفاعة في زيادة الدرجات فى الجنة لاهلها وهى ثابتة باجماع المسلمين حتى قال بها المعتزله ولم ينكرها احد منهم لان النبي صلى الله عليه وسلم يكون فى الجنة بمنزلة الوزير من الملك بغير تمثيل لا يصل الى احد شيء الا بواسطته صلى الله عليه وسلم . عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (انا أول الناس يشفع فى الجنة) رواه مسلم اى فى شأن الجنة ونعيمها وما يتعلق بها ومنه رفع الدرجات

﴿ خاتمة ﴾

الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم مطلوبة . فليكثر المؤمن في غالب أوقاته منها وليواظب عليها ولا يغفل عنها خصوصاً يوم الجمعة فى كل اسبوع فقد ورد الامر به عن أويس فى حديثه المرفوع . ومن العلماء من أوجبها فى الصلاة . ومنهم من استحبها

فيها على مارآه . ومن سأل الله شيئاً فليبدأ بحمده والثناء عليه ثم يصلى على من تحرك الساكن ونطق الصامت بين يديه . فهو اجدر بنجح المقال . واحرى بالاجابة للسؤال . والدعاء بين الصلاتين عليه لا يردولا يطرد عن باب القبول ولا يصد . وما من دعاء الا وهو دون السماء محجوب . فاذا اقترن بالصلاة عليه صعد وسعد بالمطلوب . ومواطن الصلاة عليه عند ذكره . وحين سماع اسمه وحديثه النامى دربحره . وفى الاواخر من الكتب بعد الاوائل . وكذا الاذان ودخول المسجد وفى الرسائل . فرغم انف امرىء لم يصل عليه صلى الله عليه وسلم اذا ذكر عنده وحسب المصلى عليه ان الملائكة تستغفر له وتشكر قصده ومن صلى عليه صلاة صلى الله عليه عشر صلوات . وحط عنه عشر خطيئات ورفع له عشر درجات . وكتب له عشر حسنات . وصلت عليه الملائكة الكرام . ومن سلم عليه حياه السلام بالسلام . ومن أكثر من الصلاة عليه كفى وغفر ذنبه . ويجيء يوم الآزفة وقد فر عنه كربه . ومن صلى عليه فى كتاب فاز بجزيل الثواب . ولم تزل الملائكة تستغفر له ما بقى اسمه فى ذلك الكتاب . ومن سلم عليه عشراً فكانما اعتق رقبة . والصلاة عليه تمحو ما اسلفه المصلى من الذنوب واكتسبه . والمكثر من الصلاة عليه أولى الناس به يوم القيامة . وما من احد يسلم عليه الا رد الله روحه حتى يرد سلامه . ومن صلى

عليه عند قبره الكريم سمعه . والسلام عليه يؤتى به فى كل جمعة .
ولله ملائكة سياحون تبلغه السلام عن أمته واليوم الازهر وليلته
الزهراء يؤديان اليه صلاة اهل ملته . فاكثر من الصلاة عليه
فانها عليك مفروضة . وصل عليه حيثما كنت فان صلاتك عليه
معروضة والبخيل من ذكر عنده فلم يصل عليه صلى الله عليه .
وانزله المنزل المقرب لديه . اللهم آته الوسيلة والفضيلة وأنله الدرجة
العالية الجليلة . وابعثه المقام المحمود . وانجز فى القيامة له الموعود .
واكرم مثواه ونزله . وحقق من فضلك العظيم أمله وتقبل شفاعته
الكبرى . وبلغه بنظرك اليه غاية البشرى وفجرله عيون عنايتك
تفجيراً . واجعل له من لدنك سلطانا نصيراً اللهم صلى على سيدنا
محمد المختار . وعلى اهل بيته الاطهار وعلى آله واولاده واصحابه . وعلى
ازواجه وخاصته واحبابه وعلى الانصار والاعوان . وعلى التابعين
لهم باحسان . صلاة مقرونة بالتسليم والتفضيل . مشتملة على
التكريم والتشريف والتعظيم والتبجيل آمين وسلام على المرسلين
والحمد لله رب العالمين

﴿ تتمة ﴾

قد ختم شيخنا قدس سره كتابه هذا بكلمات نفيسة بفضل
الصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم كلها قدجاءت فى

الاحاديث الثابتة عنه عليه الصلاة والسلام ولقلة العلم فى هذا الزمان
لا سيما بالسنة السنية قد رأينا أن نتمم هذه الخاتمة بذكر هذه
الاحاديث معزوة الى مخرجيها أو المشاهير منهم مع نبذة يسيرة من
اسرار مشروعية الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم ليكون المصلى
على نبيه على بصيرة غير مقلد وليستكثر منها ما استطاع وهو
منشرح الصدر مطمئن القلب ولاحول ولا قوة الا بالله

اعلم أن معنى قولك اللهم صل على سيدنا محمد يا الله انزل عليه
من لدنك رحمة لائقة بمقامه وأن المقصود الاعظم من مشروعيتها
هو تمام شكر الله المطلوب منا له عز وجل فانه لم يقم بشكر الله من
لم يشكر من أجرى النعمة على يديه الاترى ان سبحانه قد قال (أن
اشكر لى ولوالديك) فلما كانا سببا فى الوجود الجسمانى تأكد حقهما
كل التأكد فوجب شكرهما اتماما لشكر المنعم الحقيق فما ظنك
بمن كان سببا فى الوجود الحقيق الروحانى بالخروج من الظلمات الى
النور وهو صفوة جميع الخلق صلى الله عليه وآله وسلم وانما كانت
دعاء منا له لتستشعر نفس المصلى بأنها عاجزة عن القيام بما يجب لهذا
الرسول الكريم وأنه لا طاقة لها على مكافأته فتملن الالتجاء الى الله
أن يتولى ذلك عنها فكأن المصلى يقول بلسانه حال صلاته أتمم
شكرى لك بشكر أفضل من اجريت لنا النعم الباطنة والظاهرة

على يديه وأعلن كمال ضعفي عن القيام بما يلزم له فهب أنت عني بانزالك من الرحمة ما يليق بمقامه الذي أنت به أعلم واذا تأكد الاكثار منها لكثرة ما في أعناقنا من المنن التي قلدنا الله بها على يديه في الدنيا والآخرة كيف لا وببركة نوره هديت القلوب الى الايمان وتوابعه واستقرت فيها انواره فاستحقت بفضل الله تعالى الخلود في دار النعيم والنظر الى وجه الله الكريم ومن أجل أسرار مشروعيتها أيضا تقوية الرابطة الروحانية بين هذا الروح الاعظم روح الأرواح وبين أرواح المؤمنين لتنبعث لهذه الرابطة الانوار والبركات من ذلك الجناب الاعلى الى هذه النفوس الارضية البعيدة عن تلك الحضرات العلية فان هذه الرابطة في العالم الروحاني بمنزلة الانابيب التي تجرى فيها المياه من المنبع الى المصب أو الاسلاك الكهربائية في العالم الجسماني فيكون توجه المصلي الى روحه صلى الله عليه وسلم وتذكره له وقت صلاته عليه بمنزلة وصل المصب بالمنبع فما هو الا أن يفيض البر والخير من هناك عليه حسا ومعنى لان الله تبارك وتعالى قد جبل رسوله على أن يكون فياضا للجود في الدنيا والآخرة خصوصا للمتعرض للنفحات الالهية وقد أشار الى ذلك شيخ مشايخنا العلامة العارف احمد بن عبد الرحيم الدهلوى في كتابه (الحجة) حيث قال أن النفوس البشرية لا بد لها من

التعرض لنفحات الله ولا شيء في التعرض لها كالتوجه الى أنوار التدليات والى شمائر الله في أرضه والتكفف لديها والامعان فيها والوقوف عليها لا سيما أرواح المقربين الذين هم أفاضل الملأ الاعلى ووسائط جود الله على أهل الارض بالوجه الذى سبق ذكره وذكر النبي صلى الله عليه وسلم بالتعظيم وطلب الخير من الله تعالى في حقه آلة صالحة للتوجه اليه مع ما فيه من سد مدخل التحريف حيث لم يذكره الا بطلب الرحمة له من الله تعالى اه وهو كلام في غاية الجودة يدركه من ارتقى عن العامية وأحس بانوار الاعمال وأوتى حظا من العلم بنواميس الروحانيات . ولهذه الاسرار وأشباهها حضت الاحاديث الكثيرة النبوية عليها

روى مسلم وغيره عن النبي صلى الله عليه وسلم قال (من صلى عليَّ صلاةً واحدةً صلى الله عليه عشراً) وروى احمد والحاكم وصححه عن عبد الرحمن بن عوف قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتبعته حتى دخل نخلا فسجد فاطال السجود حتى خفت أو خشيت أن يكون الله قد توفاه أو قبضه قال فجئت انظر فرفع رأسه فقال مالك يا عبد الرحمن قال فذكرت ذلك له قال فقال (إن جبريلَ قالَ لى الا يسرُّكَ أن الله عزَّ وجلَّ يقولُ من صلى عليكَ صليتُ عليهِ ومن سلم عليكَ سلمتُ عليهِ فسجدتُ لله

شكراً) وروى النسائي عنه صلى الله عليه وسلم قال (مَنْ صَلَّى عَلَيَّ مِنْ أُمتي صلاةً مخلصاً مِنْ قلبه صلى الله عليه بها عشر صلوات ورفعه بها عشرَ درجاتٍ وكتب له بها عشر حسناتٍ ومحا عنهُ عشر سيئاتٍ) وروى احمد وابن حبان في صحيحه نحوه ورواه ابن أبي عاصم في كتاب الصلاة وزاد (وكانت له عَدْل عشرِ رقابٍ) وروى احمد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء ذات يوم والسرور يرى في وجهه فقالوا يا رسول الله أنا لنرى السرور في وجهك فقال (إنهُ أتاني الملكُ فقالَ يا محمدُ أما يرضيكَ أن ربكَ عزَ وَجلَ يقولُ أنهُ لا يُصَلِّي عليكَ أحدٌ مِنْ أمتكَ إلاَ صليتُ عليهِ عشْراً وَلا يُسَلِمُ عليكَ أحدٌ مِنْ أمتكَ الاَ سلَّمْتُ عليهِ عشراً قالَ بلىَ) ورواه ابن حبان في صحيحه بنحو هذه . وروى الطبراني أن النبي صلى الله عليه وسلم أتاه جبريل فقال (يا محمدُ أنَّ اللهعز وَجلَ وكلَّ مَلكاً مِنْ لَدُنْ خلقكَ الى أنْ يبعثكَ لا يُصلي عَليكَ أحدٌ مِنْ أمتكَ إلاَّ قالَ وأنتَ صَلَّى اللهُ عليكَ) وروى أيضا باسناد حسن عنه صلى الله عليه وسلم قال (حيثما كُنتمْ فَصلوا عَلي فإنَ صلاَتكمْ تبلُغُني) وروى أيضاً باسناد لا بأس به عنه صلى الله عليه وسلم (مَنْ صَلى عليَّ بلغتني صَلاته وصليتُ عليهِ

وَكتبَ لهُ بِسوَىَ ذَلكَ عَشر حَسنَاتٍ)وروى أحمد وابو داود عنه عليه الصلاة والسلام قال (ما مِنْ أحدٍ يُسَلِّمُ عَليَّ الاَّ رَدَّ الله اليَّ رُوحي حتى أرُدَّ عليه السلاَم) والمراد برد روحه اليه بلوغ ذلك له وتمكينه من الرد على المسلم عليه ولفت الله اياه عما هو فيه من شأنه الاعلى الى هذا المُسلِم وانما عبر عن هذا المعنى بهذه العبارة تنزلا الى فهم المخاطبين فصلى الله عليه من نبي كريم بالمؤمنين رءوف رحيم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (انَّ أولى النَّاسِ بي يومَ القيامةِ اكثرُهُم عليَّ صلاةً) رواه الترمذي وابن حبان في صحيحه . وقال صلى الله عليه وسلم (مَنْ صلىَّ عليَّ صلاةً لم تزل الملائكةُ تُصلِّي عليه ما صَلىَّ عليَّ فليُقلِّ عبدٌ مِنْ ذلك أوْ ليكْثِرْ) رواه أحمد وغيره وعن أبي بن كعب رضي الله عنه قال قلت يارسول الله انى اكثرُ الصلاةَ فكمْ اجعلُ لكَ مِنْ صَلاَتِي قال ماشِئتَ قال قلتُ الرُّبع قال ماشِئتَ وَانْ زِدْتَ فهوَ خيرٌ لكَ قال قلتُ النصْفَ قال ماشِئتَ وانْ زدتَ فهوَ خيرٌ لكَ قال قلتُ الثلثينْ قالَ ما شِئتَ فأنْ زِدتَ فهوَ خيرٌ لكَ قالَ اجعلُ لكَ صَلاتي كلها قالَ أذنْ تكفى همكَ ويَغفرُ لكَ ذَنبُكَ) رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح والحاكم وصححه واحمد وفي

رواية له أن رجلا قال يا رسول الله ارأيت إن جعلت صلاتى كلها عليك قال (إذَنْ يَكْفِيكَ اللهُ ما اهمكَ منْ دنياكَ وآخرتكَ) الخ واسناد هذه جيد . وقول أبيٍّ رضى الله عنه انى أكثر الصلاة معناه أكثر الدعاء فكم اجعل لك من دعائى صلاة عليك وقال صلى الله عليه وسلم (أكثرُوا منَ الصلاَةِ عليَّ يَوْم الجُمُعَةِ فأنه مشهُودٌ تَشْهَدُه الملائكةُ وإنَّ أحداً لَنْ يُصلى علىَّ الا عُرِضتْ علىَّ صلاَتهُ حتىَ يفرُغَ منهَا) وفى بعض الروايات حين بدل حتى قال أبو الدرداء قلت وبعد الموت قال (إنَّ اللهَ حَرَّم على الأرْضِ أنْ تأكلَ أجْسَادَ الأنبياءِ) عليهم السلام رواه ابن ماجه باسناد جيد . وقال صلى الله عليه وسلم (أكْثِرُوا منَ الصَّلاَةِ علىَّ فى يَوْم الجُمُعَةِ فانَّ صلاة أمتىِ تُعْرَضُ على فى كلِ يَوْم جُمْعَةٍ فمنْ كَانَ أكْثَرَهُمْ على صَلاَةً كانَ أقْرَبَهُمْ منىِّ مَنْزِلةً) رواه البيهق باسناد حسن اذا صح سماع مكحول من أبى أمامة . ويؤخذ من هذا الحديث والذى قبله أن عرض صلاة المصلين على رسول الله صلى الله عليه وسلم يتكرر فعرضة حين يفرغ منها فى أى يوم كان وعرضة أسبوعية تكون فى يوم الجمعة ليعلم بذلك مجموع ما فعله فى الاسبوع كله ومن ذلك يظهر وجه تأكد الاكثار من الصلاة والسلام عليه

في هذا اليوم وهو أن يتدارك ما فاته من التقصير فيفوز بمزيد القرب من هذا الحبيب البشير النذير وقال صلى الله عليه وسلم (مِنْ أفضل أيامكم يَوْمُ الْجُمُعَةِ فيه خُلِقَ آدَمُ وفيه قُبِضَ وفيه النَّفْخَةُ وفيه الصَّعْقَةُ فأكثروا عليّ من الصلاةِ فيه فإنَّ صلاتَكُمْ معروضةٌ عليّ) فسألوه مثل سؤال أبي الدرداء فاجابهم بمثل ما أجابه به في الحديث قبل هذا رواه احمد وابو داود وابن ماجه وابن حبان في صحيحه والحاكم وصححه وعن علي كرم الله وجهه قال (كلُّ دُعاءٍ محجوبٌ حتى يصلي على محمد صلى الله عليه وسلم) رواه الطبراني في الاوسط ورواته ثقات . وروى الترمذي عن عمر بن الخطاب قال (إن الدعاء موقوف بينَ السماءِ والأرْض لا يَصْعَدُ منه شيءٌ حتى يصلى على نبيكَ صلى الله عليه وسلم) وهذا صريح في أنه عليه الصلاة والسلام الواسطة العظمى في وصول الخير الى المؤمنين حتى أن دعاءهم لا يغني عنهم شيئاً حتى يصلوا عليه صلى الله عليه وعلى آله وسلم وصح عن عدة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه صعد المنبر فقال (آمين آمين آمين) فقيل يا رسول الله رأيناك صنعت شيئاً ما كنت تصنعه فقال (إنَّ جبريلَ عليهِ السلامُ أتاني فقالَ مَنْ أدركَ شهرَ رمضانَ فلمْ يُغفَرْ له فدخلَ النارَ فأبعدَهُ الله قلْ آمين فقلتُ آمين ومَنْ أدْرَكَ أبوَيهِ أو أحدَهما فلمْ يبرَّهُما فماتَ فدخل

النارَ فأبعدَه الله قل آمين فقلتُ آمين ومَنْ ذُكِرْتَ عِنْدَهُ فلم يُصلِّ عليكَ فماتَ فدخلَ النار فأبعدَهُ الله قل آمين فقلتُ آمين) رواه ابن خزيمة وابن حبان في صحيحه واللفظ له والحاكم وقال صحيح الاسناد والبزار والطبراني بالفاظ متقاربة ومن ثم أوجب بعض أهل العلم الصلاة عليه كلما ذكر صلى الله عليه وسلم وحمل الجمهور الوعيد على من ترك الصلاة عليه تهاونا بحقه صلى الله عليه وسلم ولا شك في أنه آثم أو كافر أما من ترك ذلك بمحض الغفلة فقد فاته خير كثير . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (البخيلُ مَنْ ذُكِرْتُ عِنْدَه فلمْ يُصلِّ عليَّ) رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح ورواه النسائي وغيره وقال صلى الله عليه وسلم (إذا سَمعتمْ المؤذِنَ فقولوا مِثلَ ما يقولُ ثمَ صلوا عليَّ فأنه من صلى عليَّ صلاةً صلى الله عليهِ عشرا) الحديث رواه مسلم وغيره وتكون الاجابة كما في حديث مسلم وفيه أنه يقول في الحيعلتين الحوقلة وان من أجاب على هذا النحو دخل الجنة يعني دخولا من غير سابقة هو ان نسأل الله ان يبلغنا ذلك واشياخنا ووالدينا واخواننا في الله انه الجواد الكريم المنان وصلى الله وسلم وبارك على أفضل خلقه سيدنا ومولانا محمد المصطفى وعلى آله وصحبه افضل وأكثر وأزكى ما صلى على أحد من خلقه وسلم وبارك والحمد لله رب العالمين

(تنبيه)

يقول الفقير الى الله تعالى نجل المؤلف قدس سره نجم الدين قد امتازت هذه الطبعة عن سابقتها بمزيد العناية والتحرير لهذا المؤلف النفيس بحل مافيه من المشكلات والجواب عما عساه أن يرد على بعض الاحاديث الشريفة من الاعتراضات وحذف ما اشتد ضعفه وابداله بما يصح الاحتجاج به من الاحاديث الشريفة وغير ذلك كبيان معنى كون النيل وغيره من الجنة بما يتفق مع ما يشاهده الناس من أن منابعها في الارض و بيان ما يسمى عالم المثال عند القوم وذلك باملاء خليفة شيخنا العارف بالله تعالى رافع لواء الشريعة وناشر أعلام الحقيقة غرة الدهر وجهبذ العصر المحدث الحافظ الفقيه الاستاذ الفاضل الشيخ سلامه العزامي أحد أكابر علماء الازهر فضلا عن جودة الورق وحسن الطبع وضبط الأحاديث الشريفة بالشكل رغبة في التيسير على قرائه وبالله التوفيق

فهرس

صحيفة

(تم الفهرست)